شرح

ثلاثة الأصول و أدلتها

للإمام: مُحَمَّد بن عبد الوهاب

شرح فضيلة الشيخ:

فيصل بن قزار الجاسم

(الشيخ لم يراجع التفريغ)

عناية:
صالح بن مثيب العبدلي
S7923523@gmail.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا مُحَمَّد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين.

أما بعد:

فبين أيدينا رسالة معنونة بثلاثة الأصول، ومؤلفها هو: الإمام المجدد مُحَمَّد بن عبد الوهاب -رحمه الله تعالى-، وقد ولد -رحمه الله- في السنة الخامسة عشر والمائة والألف للهجرة، وتوفي في السنة السادسة والمائتين والألف للهجرة، وهو أحد أئمة السنة، وأحد أعلام هذه الأمة، وهو المجدد – رحمه الله – للقرن الثاني عشر، وسيرته – رحمه الله – في الدعوة معلومة عطرة.

ودعوته – رحمه الله – لا نزال إلى يومنا هذا نجتني ثمارها، ونعيش في كنفها، ونرى أثرها، وبركتها، وهذا من بركة دعوته رحمة الله عليه، والإمام المجدد – رحمه الله – سيرته عظيمة جدًا، وفيها مواقف كثيرة، ولذلك مما ينبغي على طالب العلم أن يقرأ في سيرة الإمام المجدد، وأن يأخذ منها الدروس، والعبر، والفوائد، وهو من أكثر الشخصيات في الإسلام التي كتب عنها قدحًا، أو مدحًا، فقد كُتب في الإمام – رحمه الله – ما بين قادح، ومادح، أكثر من مائة مؤلَّف فقط، في حياة هذا الإمام، وفي بعض جوانب سلوكه وحياته. والإمام كما هو معلوم قد اعتنى – رحمه الله – بتدوين الدعوة والتاريخ، وهذا مما يحتاجه أهل السنة والجماعة، والسلفيون، هم يحتاجون دومًا إلى أن يدونوا التاريخ، لأن التاريخ تظهر فيه سنة الله جلّ

وعلا الكونية، والله تبارك وتعالى له سنة شرعية، وسنة كونية، وهي التي ذكرها جلّ وعلا في أكثر من موضع في قوله تعالى: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا} [الأحزاب:٦٢]، قال: {وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا} [فاطر:٤٣].

فسنة الله جلّ وعلا: هي أفعاله جلّ وعلا في خلقه، والتاريخ كما قال ابن خلدون وغيره: (يعيد نفسه) وإنما تتغير الأسماء، والأوقات، والأماكن. وإلا فإن التاريخ هو التاريخ، وسنة الله جلّ وعلا لا تتحول، ولذلك دعوة الإمام – رحمه الله – من الأمثلة الحية الواقعية للدعوة التي يدعو إليها أهل السنة والجماعة، والدعوة السلفية المباركة، وأنها السبيل الوحيد لإحياء هذه الأمة، وإعادة مجدها، وعزها، الذي جاء به النبي – ﷺ– وعلى آله وصحبه وسلم، فهذه الدعوة التي ندعو إليها؛ وهي دعوة النبي – ﷺ–؛ والتي تقوم على البدء بتصحيح العقائد، وإصلاح المعتقدات، والبدء بدعوة الناس وعوامهم، وهكذا حتى ينتشر الخير والفلاح، فإن هذه الدعوة التي تقوم على إصلاح عقائد الناس، ودعوة الشيخ هي مثال حي لهذه الدعوة، فإنه بدأ – رحمه الله – في أرض نجد بالدعوة إلى التوحيد، ولم يشغل نفسه بغير التوحيد، بل دعا إلى الله تبارك وتعالى، وصبر على التعليم، وعانى – رحمه الله – معاناة عظيمة في هذه الدعوة المباركة، وكان – رحمه الله – قد آتاه الله – عز وجل– فهمًا عظيمًا، وذكاءً مفرطًا حتى رُئيت آثار النجابة عليه وهو في صغره، وكان صاحب همة عالية وعزيمة عظيمة – رحمه الله – تعالى؛ حتى أنه لما بلغ وصار عمره في الثامنة عشرة لما حج بيت الله جلّ وعلا وكان قد أنار الله – عز وجل– قلبه بنور التوحيد، وعلم الواقع المرير الذي

يعيشه المسلمون، عزم - رحمه الله - وهو في ابن ثمان عشرة سنة، عزم على الدعوة إلى الله، ونشر هذا التوحيد.

وقد ذكر عنه حفيده الشيخ عبد الرحمن بن حسن وقد أدرك جده، وأخذ عنه، قال: أنه وقف في الملتزم بين الركن والمقام ودعا الله جلّ وعلا أن يشرح له قلوب الناس، وأن يرزقه القبول من الناس، وأن يعينه على الدعوة، وهو ابن ثمان عشرة سنة، انظر إلى هذه الهمة العظيمة! ابن ثمان عشرة سنة عزم على أن يغير واقع الأمة، وأن يغير أحوال الشرك إلى أحوال التوحيد! ومع ذلك عاني - رحمه الله - معاناة عظيمة، وابتلاه الله جلّ وعلا ابتلاء عظيمًا، حتى مرت به مراحل لم يبق له معين من البشر إلا الله تبارك وتعالى، سبحانه وتعالى هو الذي أعاناه، وفي ذلك قصته المشهورة لما أعانه حاكم العُيينة، ولحق به بعد وفاة والده.

ولما هَدَم القبة المبنية على قبر زيد بن خطاب، وقع هذا الخبر موقعه العظيم في الجزيرة العربية، ثم بعد ذلك رجم تلك المرأة الشريفة وضجت قبائل العرب في ذلك الوقت، وأمراء القرى، والنواحي، وأخذت التهديدات تأتي إلى عثمان بن ناصر المعمر لطرد الشيخ، واضطر بعد قصة طويلة إلى الخروج، وخرج - رحمه الله - وحده في السنة الثالثة والخمسين والمائة والألف للهجرة، خرج وحده من "**العيينة**" لا يدري إلى أين يتوجه، وحده في الصحراء لا يدري إلى أين يتوجه، الكل يطلبه، والكل يريده، ما بقي أمير قبيلة إلا ويطلبه، ولا أمير ناحية إلا ويطلبه، خرج وحده ليس له معين إلا الله؛ إلى أن وفقه الله جلّ وعلا وذكره بطالب ممن طلب عنده العلم أنه في منطقة صغيرة تسمي "**بالدرعية**" قريبة من "**الرياض**" وهذه قرية صغيرة، عدد بيوتها أربعون بيتا فقط، ثم نزل عنده . . والقصة المشهورة، ثم وقعت البيعة العظيمة، و بعد ذلك انطلقت الدعوة مرة أخرى.

الشاهد: أن حياة الشيخ - رحمه الله - كانت حافلة حقيقة بمواقف عظيمة، حتى الكتب التي كتبها قد ظهر فيها آثار رسوخ، وآثار بركة، كتاب "**التوحيد**" كتبه وهو بالبصرة، وهو ابن خمس وعشرين سنة، يعني هذا الكتاب العظيم الذي أصبح عمدة، بل لم يؤلف في الإسلام مثلُه في التوحيد، كتبه وهو ابن خمس وعشرين سنة في البصرة، انظر إلى آثار رسوخ في هذا الإمام المجدد، حتى إن الصنعاني - رحمه الله - لم يلق الشيخ، لكنه وقف على كتبه، فقال - رحمه الله - في وصف كتبه: "**وقد وقفت على بعض كتبه فرأيتها مشحونة بالأحاديث، والآيات**".

فالشاهد: أن الشيخ - رحمه الله - كانت حياته عظيمة، حافلة، فيها أشياء نافعة، وأنا أحث حقيقة كل طالب علم أن يتأمل في سيرة الشيخ، وفي حياة الشيخ، والشيخ - رحمه الله - اعتنى بتدوين هذه الدعوة المباركة، وطلب من حسين بن غنام الأحسائي وهو أحد العلماء آنذاك، ممن تأثر بدعوة الشيخ، طلب منه الشيخ أن يؤرخ الدعوة، فأرخ الدعوة في كتابه المشهور المعنون بـ"**تاريخ نجد**" طبعًا عنوانه أطول من هذا، طويل، والكتاب كله سجع من أوله إلى آخره.

فالشاهد: أنه ألف التاريخ، وهو موجود الآن في مجلدين: المجلد الأول كله في ترجمة الشيخ، وفي أحوال الشيخ، وفي علم الشيخ، وفي آثار الشيخ رحمه الله، والمجلد الثاني كله في تاريخ الدعوة منذ أن انطلقت إلى وفاة حسين بن غنام.

وذلك تاريخ الدعوة أمر مهم جدًا، وقد ألف في الشيخ – رحمه الله – مؤلفات عظيمة مباركة، ودعوة الشيخ الإمام المجدد – رحمه الله – أورثت خيرًا كثيرًا، وكانت أعظم بركة، ونفعًا، وأثرًا من دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمة الله عليه.

وقد امتازت دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب على دعوة ابن تيمية رحمة الله عليه بأمور ثلاثة:

- **الأمر الأول**: امتازت بأن الشيخ لم يعتن إلا بالتوحيد، لم يكن له شغل إلا التوحيد، ولذلك ما عرج على الخلافات الفقهية، والنزاعات في مثل هذا، وإنما ركز على أصل الدين، بخلاف ابن تيمية رحمه الله، فإنه كان موسوعة؛ ما من فن إلا وقد تكلم فيه، وما من فن إلا وقد أطال النفس فيه، ورد على من أخطأ فيه، بخلاف المجدد فإنه ركز على التوحيد، واعتنى به جدًا.

- **الأمر الثاني**: أن الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب – رحمه الله – كان أسلوبه سهلا، وقد خاطب بدعوته عوام الناس، وبسطاءهم، قبل علمائهم، وذلك كان يراسل الناس، ويراسل الصغار والكبار، ويجلس معهم، ويعلمهم، وحتى إنه كان يكاتبهم، ويخاطبهم بالعامية، اللغة العامية، يقول في كتابه: **(وأنا أشره عليك، والشره عليك كذا، وكذا)** كما هو موجود أيضا في رسائله الشخصية.

أما كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فهو كلام قوي، ولذلك قد بعض العبارات لكلام شيخ الإسلام ابن تيمية تحتاج إلى شرح، ويحتاج إلى فك رموز، فمن قرأ كتابه **"درء تعارض العقل والنقل"** يحتار في بعض العبارات، وبعض الكلام لا يفقه ولا يتصوره، ولذلك

كلامه فيه قوة، ويحتاج إلى شرح، بخلاف كلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب، انظر إلى كُتبه، ومؤلفاته، كلها أسلوبها سهل، بسيط جدًا يفهمه العامة، وهذه ميزة تحسب للإمام المجدد.

- **الأمر الثالث**: الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب وجد من ينصره، ويعينه، وهو الإمام "**مُحَمَّد بن مسعود**" رحمه الله، وقد ذكر شيخ الإسلام - رحمه الله - **(أن هذا الدين لا ينتشر إلا بكتاب يهدي، وبسيف ينصر)**، فلابد من كتاب يهدي للحق، ولابد من قوة تنصر هذا الكتاب، ولم يوفق ابن تيمية - رحمه الله - لمن ينصر دعوته، بل إنه توفي - رحمه الله - وهو سجين.

فهذا الإمام المجدد "**مُحَمَّد بن عبد الوهاب**" - رحمه الله - في الحقيقة أن حياته فيها فوائد عظيمة جدًا، وأنا أنصحكم أن تقرءوا في سيرته، اقرءوا فيما كتب عنه، فيما كتب عنه "**حسين الغنام**" أو كتب عنه عثمان بن بشر في "**عنوان المجد في تاريخ نجد**" أو كتب عنه الشيخ عبد الله العثيمين في مؤلف، أو كتب عنه كثيرون، وللشيخ ابن باز رحمة الله عليه رسالة صغيرة فرّغت، وهي محاضرة في ترجمة الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله، ففيها فوائد كثيرة.

والشيخ رحمه الله، هذه رسالته بين أيدينا، معنونة بـ"**ثلاثة الأصول**"، والأصول الثلاثة غير ثلاثة الأصول.

فـ"**ثلاثة الأصول**" هي الرسالة المشهورة المعروفة.



وأما "**الأصول الثلاثة**" فهي رسالة أصغر من هذه يُعَلّم فيها الأطفال، هي بهذا الموضوع، لكن هي مؤلفة للأطفال، يعلمون التوحيد، فهذا الرسالة بين أيدينا، وهي من أوائل ما كان يعتني علماء الدعوة بتعليم الناس، أول ما كان يعتنون به أن يعلموهم الثلاثة أصول، ولذلك كان كثير ممن انتسب إلى هذه الدعوة، واقتدى بها، وتأثر بها كانوا يحفظون هذه الأصول الثلاثة، يحفظونها حفظًا، كان الرجل لا يقرأ ولا يكتب، ومع ذلك كان يحفظ الأصول الثلاثة كاملة من أولها إلى آخرها، يسردها سردًا، ولذلك رسخت العقيدة في قلوبهم.

وكان الإمام – رحمه الله – يعتني بتدريس الناس التوحيد، وأن يكرره على مسامعهم، وتعقد الحلقات في تدريس التوحيد، وتحفيظ الناس التوحيد، وتغليب هذه المسائل، ولم يقول: الناس ملت، الناس كذا، خلاص، نريد أن نغير – لا – بل كان هذا العلم هو أساس العلوم، وكان مادة دائمة في كل المساجد. ولذلك ما استطاع أحدًا أن ينشر الشرك والبدع والضلالات في هذه الجزيرة إلا بعد ما ظهرت هذه الجماعات الإسلامية الجديدة اليوم والأفكار التي بدأت تغزو، وضعف أهل السنة والجماعة عن الدعوة إلى التوحيد، فلما ضعفنا في الدعوة إلى التوحيد، وتعليم الناس التوحيد، وتكرار التوحيد على مسامعهم، لما ضعفنا في ذلك نشط أرباب الجماعات؛ هذه التي تسمي بالإسلامية، فبدءوا ينشرون دعوتهم، وأفكارهم، فانحرف فكر كثير من الناس عن هذه الدعوة المباركة.

وما نعانيه اليوم من هذا التشرذم، وهذه الأفكار، إنما لضعفنا في تقرير مثل هذه المسائل، وإلا فإن الدعوة هذه انتشرت في بيئة العصبية فيها تضرب أطنابها، بيئة، قبائل، وأجناس، وأعراق، وبادية، وأناس وبادية يصعب قيادتهم، ومع ذلك الدولة السعودية لما سقطت في السنة الثامنة الثلاثين ومائتين وألف للهجرة بعدها بسبع سنين قامت الدولة

السعودية ثانية، بسبع سنوات! مع أنهم بادية، يعني أنهم لا يكاد يقودهم أحد إلا بالقوة، ومع ذلك انقادوا لهذا الدين، ذلوا له،، وعلِموا أن القيادة للقيادة الدينية، ولذلك رجع أمرهم وانتظم أمرهم بعد سبع سنين فقط، مع أن المقتضى الحال الطبيعي أن هذه القبائل البدوية لا يمكن أن تجتمع، بمجرد أن تسقط الدولة ينفرط عقدها، ويبدأ الناس يرجعون إلى ما قبل ذلك، ومع ذلك رجعوا إلى إمامة واحدة.

وسقطت الدولة السعودية الثانية، وقامت الثالثة أيضًا واجتمع الناس، وهذا كله يدل على أن من أعظم ما يُجمع الناس، ويثبتهم، ويقوي الملك، هو الدعوة إلى التوحيد، والدعوة إلى السنة، وتحكيم كتاب الله تبارك وتعالى.

(المتن)

قال المصنف – رحمه الله – تعالى –: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

الأولى: العلم،

وهو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.

الثانية: العمل به.

الثالثة: الدعوة إليه.

الرابعة: الصبر على أذى فيه.

(الشرح)

يقول الشيخ: (**اعلم رحمك الله**)، وهذا من حسن أسلوب الشيخ – رحمه الله– فإنه بدأ بالدعاء للمدعو، وهكذا كان النبي – ﷺ– رحيمًا، وأرسله الله جلّ وعلا، {وكان بالمؤمنين رحيمًا}.وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ} [سبأ:٢٨]، وقال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء:١٠٧]. وقال: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} [التوبة:١٢٨]، فالنبي بعث هاديًا، ومبشرًا – صلى الله عليه وسلم–، ووقد صبر على أذى المشركين، وكان همه الدعوة، ولما آذاه أهل الطائف، وآتاه ملك الجبال، وأستأذنه في أن يطبق عليه "**الأخشبين**" لم يقبل عليه الصلاة والسلام مع شدة أذاهم له، وقال: «لا، لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله»، فكان همُّ النبي – ﷺ– هو دعوة الناس، وهدايتهم، ليس همه أن يقيم الحجة فقط، كما هو حاصل عند بعض الدعاة اليوم. بعض الدعاة اليوم همه أن يقيم الحجة فقط، ليس همه أن يهدي الناس. والفرق

بين من همه أن يهدي الناس أن هذا الرجل الذي يريد هداية الناس يسلك أقرب الطرق، وأحسن الطرق، ويتلطف، ويكرر، وما من طريق يمكن أن يوصل الهداية للناس إلا وسلكه، كما وصف الله جلّ وعلا نوحًا عليه السلام، نوح ما ترك طريق إلا وسلكه، {قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ * يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لا يُؤَخَّرُ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا * فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا * وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا * ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا * ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا * فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا * يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا} [نوح:٢-١١]، فأخذ يذكرهم بنعم الله جلّ وعلا، أسرّ لهم، وجهر، وأتاهم في نواديهم، وكلم كل واحد لوحده، وكلمهم في مجامعهم، ما ترك سبيلًا إلا وسلكه، وكم عاش على هذه الدعوة؟ مكث ألف سنة إلا خمسين عامًا، واليوم بعض الدعاة همه فقط أن يلقي الكلمة و سواء انتفعوا أو لم ينتفعوا ، تؤتي ثمارها أو لا تؤتى، أهم شيء لديه إنه يقول الحق، وانتهى الموضوع.

وقد يترتب عليه ضرر، وصدٌ للناس، ولا يترتب عليه خير، قال: خلاص، أهم شيء أن يقيم عليه الحجة، هذا ليس منهج الداعية، منهجُ الداعية صاحبُ الحق: أن يسلك الطريق الذي يوصل الناس إلى الخير، همه الهداية، ولذلك تجد الشيخ على هذا الأسلوب، **(اعلم رحمك الله)**، هكذا يدعو المدعو، **(رحمك الله)** ويقول: **(اعلم)**؛ لأنه يعلم بأن أعظم ما ينفع العمل هو العلم، ولذلك قال:**(اعلم رحمك الله)**، أراد أن يعلمهم قبل أن يدعوهم إلى العمل، أن يذكر الدليل قبل أن يقول لهم: افعلوا، افعلوا بناء على الدليل.

وهكذا بدأ الله جلّ وعلا بالعلم قبل العمل قال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} [مُحَمَّد:١٩]. وقال البخاري – رحمه الله – مبوبا: **"باب العلم قبل القول والعمل"**، وبهذا سلك الشيخ رحمه الله، ولذلك كان الشيخ – رحمه الله – آتاه الله – عز وجل – ذكاء، وحُسن اتباع للنبي – ﷺ – فسلكه، ولذلك سيرته أشبه بسيرة النبي – ﷺ – في أول دعوته حيث إنه جعل النبي ﷺ أُسوته.

ثم قال: (**إنه يجب تعلم أربع مسائل: العلم، والعمل، والدعوة، والصبر**).

وهي مأخوذة من قول الله جلّ وعلا: {وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ} [العصر:١–٢]،أي كل الإنسان، {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر:٣]، فاستثنى الله جلّ وعلا من الخاسرين من اتصف بأربع صفات: الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر، فهذا عنوان النجاح.

- «**العلم، هو معرفة الله، ومعرفة نبيه، ومعرفة دينه الإسلام**».

وهذا الذي يُسأل عنه الإنسان في قبره، هذا أول العلم، تعرف ربك، وتعرف نبيك، وتعرف الدين الذي أرسل به نبيك، وبهذا من حقق هذه الأمور وعرف إجابتها وامتثلها نجا في قبره، ونجا في الآخرة، ومن جهلها ضل سعيه في الدنيا وفي الآخرة.

- ثم العمل بهذا العلم، يعني: العلم المراد به العمل، ثم إذا عمل به في نفسه، وأنقذ نفسه لابد أن يعلم غيره، لأن الإنسان مطلوب أن يعلم غيره، أن يكون

داعيًا، ليس فقط أن ينقذ نفسه، وإنما أن يعلم غيره، ولذلك أرسل الله الأنبياء دعاة إلى الله جلّ وعلا، وعاشوا على هذا مجاهدين في سبيل الله، ثم إذا دعا إلى الله لابد أن يؤذَى، ما من داعية إلا ويؤذى، {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ} [الفرقان:٣١]، ما من نبي إلا بعث الله – عز وجل– له أعداء، وقال: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام:١١٢]، أعداء من الإنس ومن الجن، فتحتاج الدعوة إلى صبر.وقال الله جلّ وعلا لنبيه – ﷺ–: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلا تَسْتَعْجِلْ} [الأحقاف:٣٥]، والإيمان نصفه صبر، كما صح عن النبي –صلى الله عليه وسلم–، ولما ابتلي الإمام أحمد – رحمه الله – وأوذي أذًى عظيما في فتنة خلق القرآن، يقول: "**تأملت الصبر في كتاب الله، فوجدت الله ذكره في تسعين موضعًا**".

(المتن)

والدليل قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{وَالْعَصْرِ * إِنَّ الإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ} [العصر:٣].

قال الشافعي - رحمه الله - تعالى: هذه السورة لو ما أنزل الله - عز وجل- حجة على خلقه إلا هي لكفتهم.

وقال البخاري - رحمه الله - تعالى: **"باب العلم قبل القول والعمل والدليل قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}"**، فبدأ بالعلم قبل العمل.

(الشرح)

قول الشيخ: **(والدليل)**، كان الشيخ - رحمه الله - يعتني بالدليل، وهكذا يجب أن يكون الداعية في دعوته معتنيًا بالدليل، إذا أمر الناس بشيء ذكر معه الدليل، وقرن معه الدليل، لأن الحق لا يعرف إلا بدليله، وإنما الحق يتميز عن الباطل بأن الحق عليه الدلائل، وذاك ليس عليه الدلائل.

ولذلك لابد أن يربي الإنسان نفسه، ويربي غيره على اتباع الدليل، والدليل إما أن يكون كتابًا، أو سنة، أو إجماعًا، أو قول أحد الصحابة رضي الله عنهم، فإن هذه الأدلة كما قال **"ابن القيم"**:

العلم قال الله قال رسوله ... قال الصحابة هم أولوا

ما العلم نصبك للخلاف ... بين الرسول وبين قول فلان

ليس العلم قال الشافعي، قال أحمد، قال مالك، قال فلان –لا – ليس هذا العلم، العلم: قال الله، قال الرسول، قال الصحابة، وهكذا يجب أن يربي الإنسان نفسه، وأن يربي غيره.

إذا تربي الناس على أنهم لا يتبعون شيء إلا بدليله سددت بابًا عظيمًا من أبواب البدع، فأصبح الداعي للبدعة لا يمكن أن ينشر بدعته، لأنه إذا دعا لنشرها، ما الدليل؟ أعطنا آية من كتاب الله، حديثًا عن النبي – ﷺ–، إجماعًا، أو سنة أحد الصحابة نتبعه.

ولذلك الشيخ كان يعتني بالدليل، لأن الحق لا يعرف إلا بالدليل.

«قال: والدليل قوله».

قرر ما يريد، يجب علينا تعلم أربع مسائل، ثم ما هو الدليل؟ الدليل هو كذا، ثم ذكر الآية التي ذكرها، وكذلك ذكر كلام الشافعي رحمه الله، وأن الله – عز وجل– ابتدأ بالعلم قبل القول والعمل، فمن عمل بلا علم كان فيه شبه من النصارى، ومن علم ولم يعمل كان فيه شبه من اليهود، ولذلك وصف الله–جلّ وعلا– الهداة بأنهم عالمون، عاملون، قال الله–جلّ وعلا–: {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ} [الفاتحة:٦–٧]. ميز الله وعرف الصراط بنفي أضداده؛ قال: {غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ} من هم المغضوب عليهم؟ اليهود،علموا ولم يعملوا، {وَلا الضَّالِّينَ} وهم النصارى، عملوا بلا علم. فلما نفي الله–جلّ وعلا– عن أهل الصراط، أنه صراط غير المغضوب عليهم، وغير الضالين، دل على أن الصراط هو المبني على العلم والعمل، {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ} [التوبة:٣٣].

الهدى: العلم النافع.

ودين الحق: العمل الصالح.

وعلى هذا يقوم الدين: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ}، كثيرًا ما يقرن الله جلّ وعلا بين العلم والعمل، ولذلك العمل ركن في الإيمان عند أهل السنة والجماعة. ومن هنا من قال: إن العمل لا يمكن زواله، ومع ذلك يبقي الإنسان على الإيمان! فهذا قول أهل الإرجاء، فالعمل هو النزاع الذي وقع بين أهل السنة والمرجئة على العمل، فالإيمان علم يسبق العمل، فإن لم يورث عملا، لم يكن الإنسان مؤمنًا، وإن عمل بلا علم كان مبتدعًا.

(المتن)

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم، ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل، والعمل بهن:

الأولي: أن الله خلقنا، ورزقنا ولم يتركنا هملًا.

(الشرح)

وهكذا ترى الشيخ – رحمه الله – يبسط المسائل.

قال: **(اعلم أنه يجب على كل مسلم تعلم ثلاث مسائل)** يجمع لك المسائل، ويرتبها حتى يسهل حفظها، ويسهل الانتباه لها، وتميز بينها وبين بعضها البعض.

(المتن)

الأولى: أن الله خلقنا، ورزقنا، ولم يتركنا هملًا، بل أرسل إلينا رسولًا؛ فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.

(الشرح)

– **هذه المسألة الأولى**: أن تعلم أن الله خلقك لغاية، وأن الله خلقك فهو لم يهملك، بل خلقك لمقصد عظيم؛ وهو أن تعبده وحده لا شريك له. وأخبر الله بأن من سلك هذا الطريق دخل الجنة، ومن تنكب عنه دخل النار. إذن هذا أول ما ينبغي أن يذكر به الناس، وأن لا يعزب عن ذهنه، لأن من غفل عنه انحرف عنه، ومن استحضره دومًا بأنه مخلوق لعبادة الله جلّ وعلا نشطه ذلك وقاده إلى طاعة الله تبارك وتعالى، وحجبه عن معاصي الله.

فهذا أول أمر تعلمه، أن الله خلقك ولم يتركك، بل خلقك لعبادته.

(الشرح)

والدليل قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} [المزمل:١٥-١٦].

(الشرح)

الدليل قوله: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا * فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا}.

فالله جلّ وعلا أرسل رسوله {شَاهِدًا} أي: شاهدا إلى أعمال الناس، وداعيا إلى الله جلّ وعلا، كما أن الله قد أرسل إلى فرعون رسولًا، فلما عصى فرعون الرسول؛ أذاقه الله جلّ وعلا العذاب. فهذا يدل على أن الله خلقك ولم يتركك هملًا، بل أرسل إليك الرسل، وأن هذه سنة الله، يخلق الخلق، ويرسل لهم الرسل ليَدُلُّوا الناس على ما يحب ربنا جلّ وعلا ويرضاه.

(المتن)

الثانية: أن الله لا يرضى أن يُشرك معه أحد في عبادته، لا نبي مرسل، ولا ملك مقرب ولا غيرهما.

(الشرح)

- **الثانية**: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد، أي ليس أن الله خلقك لعبادته، وأجاز لك أن تعبد غيره، بل خلقك لعبادته جلّ وعلا وحده لا شريك له، ومنعك أن تعبد معه غيره، بل لو عبد الإنسان مع الله غيره لكان عمله حابطًا مشركا،ومآله إلى النار – والعياذ بالله –، لأن بعض الناس قد يعبد الله ولا ينكر الشرك، تجده يدين بالإسلام ويقول: الطرق كلها موصلة إلى الله، لكن أنا اخترت هذا الطريق. ليس الأمر على هذا النحو، بل تختار الطريق، وتتبرأ من غيره، ومن هنا جاء الكفر بالطاغوت {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ}[البقرة:٢٥٦]، {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ}[الزمر:١٧]، أي: لابد من الكفر بالطاغوت، والإنابة، أي: لابد أن تعبد الله، وتتبرأ من عبادة سوى الله.

ومن هنا لابد أن نعرف بأن التوحيد لا يتم إلا بأن يعتقد الإنسان بطلان الشرك، وأن يتبرأ منه، وأن يكفر به، وأن يجاهد أهله، وهذه قضية مهمة. وأضرب لكم مثال تتصورونه: بعض الناس يأتيك لبعض الرافضة أو غيرهم، يقول: لا، فلان ما يوافقهم على، ما يستغيث بالحسين، ولا يطلبه، ولا يستنجد بعلي، طيب، هل هذا كاف في التوحيد؟! طيب، هل هو يكفّر من فعل ذلك؟ أو يحكم أن من دعا الحسين وعلي أنهم مشركون؟ إن لم يعتقد أن هذا شرك، فهذا ليس مؤمن، ولو ترك ذلك. إذن ليست القضية أن تترك الشرك، وليست القضية أن تعبد الله وحده، القضية أن تعبد الله وحده، وأن تتبرأ من الشرك، وتعتقد بطلانه، وتكفر به، وأن تُكَفِّر أهله، بل لو امتنع الإنسان من تكفير من أجمع المسلمون على كفره كعباد الأموات، وغير ذلك، فهم مشركون، لأنه تكذيب لخبر الله، إذن هذه قضية مهمة.

الشيخ قال لك أول شيء: «**أن الله خلقك لعبادته**».

- **والأمر الثاني**: أن الله لا يرضى الشرك، وأن من أشرك مع الله - عز وجل-، ولو أشرك بنبي، أو ملك، فإن عمله حابط. إذن هذا يستلزم البراءة، والبراءة: هو البغض، والمجانبة، والبعد.

(المتن)

والدليل: قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن:١٨].

(الشرح)

الدليل: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}. {الْمَسَاجِدَ}: قيل: البيوت المبنية لعبادة الله جلّ وعلا. وقيل: مساجد مواضع السجود، والشاهد: أن السجود لا يكون إلا لله. {فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، {أَحَدًا}، نكرة، وفي اللغة العربية النكرة إذا جاءت في سياق النفي تفيد العموم، أي: لا تدعو مع الله أحدًا، فيدخل في أحد: الأنبياء، والملائكة، والصالحون، والأشجار، والأحجار، والملكوت كله، وهذا يدل على أن الله – عز وجل– إنما أمر بعبادته جلّ وعلا وحده، ونهى أن يعبد معه أحد سواه.

(المتن)

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووحد الله لا يجوز له موالاة من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب.والدليل: قوله تعالى: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} [المجادلة:٢٢]

(الشرح)

- **الثالثة**: هي تحقيق للأمرين الأولين:
- **الأمر الأول**: أن تعرف أن الله قد خلقك لعبادته، ولم يتركك هملًا.

- **الأمر الثاني**: أن تعلم بأن الله – عز وجل– لا يرضى أن يُشرك معه أحد، ولو كان نبيا.
- **الأمر الثالث**: لوازم ذلك، هو أن توالي الموحدين، وتتبرأ من المشركين، ولذلك من لم يوال أهل التوحيد ولم يتبرأ من المشركين فليس بموحد، وليس بمسلم.

إذن تحقيق الأمرين الأولين هو بموالاة أهل التوحيد، ومعاداة أهل الشرك، وأنه لا يتم إيمان عبد حتى يتبرأ من المشركين ولو كانوا أقرب الناس إليه، ولذلك نفى الله الإيمان عن من لا يزال يواد أهل الشرك ويحبهم، قال: {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ} أي يحبون {مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ}، ثم وصفهم {أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ}، هؤلاء الذين رسخ الإيمان في قلوبهم {وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ} إذًا هذه الجنات، وهذه الثمرات لا تنتج إلا لمن والى أهل التوحيد. ولذلك من نصر أهل الشرك على أهل التوحيد لم يكن مؤمنًا؛ لأنه وإن ادعى الإيمان، وإن ادعى التوحيد فإنه لم يحقق، بل أتى بنقيض من نواقضه.

ومعرفة الشرك لا نكتفي فقط بأن نقول: بأن هذا شرك — لا – لابد أن يستلزم ذلك بغض أهله، ومعاداة أهله بحسب المقام، وبحسب الحال، ولها تفاصيل، لكن معرفة الشرك ليست تعرف أنه باطل فقط، بل لابد من البراءة، والبراءة تستلزم المجانبة، وتستلزم البغض، وتستلزم المجاهدة، وهناك براءة بالقلب؛ كاعتقاد البطلان، والبراءة باللسان؛ تتبرأ بلسانك، وبراءة بالبدن؛ أن تجاهد أهل الشرك ما استطعت، فمن لم يتبرأ من المشركين، ولم يوال الموحدين، فلن يحقق ما ادعاه من توحيد الله جلّ وعلا ومن معرفة الشرك.

إذن معرفة الشرك تستلزم البراءة منه، وبغضه، ومجانبته، ومجاهدة أهله، ومعرفة التوحيد تستلزم محبته، ومحبة أهله، ونصرتهم. إذن من لم يعلم هذه الأشياء، أو فرط في واحدة منها فإنه لا يكون موحدًا.

(المتن)

اعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم، أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم لها، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦]، ومعنى يعبدون: يوحدون.

(الشرح)

يقول المؤلف: «**اعلم أرشدك الله لطاعته أن الحنيفية ملة إبراهيم**».

وقد سمى الله جلّ وعلا ملة إبراهيم بالحنيفية، قال: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل:١٢٣]. **والحنيف هو: المائل عن الشرك، المقبل على الله تبارك وتعالى بالتوحيد،** هذا هو الحنيف، وملة إبراهيم - عز وجل-، نسب الله جل وعلا الملة لإبراهيم مع أن هذه الملة ملة جميع الأنبياء، فإن جميع الأنبياء بعثوا بالإسلام، وهو الاستسلام لله تبارك وتعالى، والتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك، لكن إبراهيم - عز وجل- قد عانى وناظر في التوحيد، لاسيما أن محمدًا - ﷺ- جاء من نسله، فإن كل الأنبياء اللذين جاءوا بعد إبراهيم كلهم كانوا من نسله، فكان أبًا لهم، أبًا في النسب، وأبًا في الملة، وناظر إبراهيم - عز وجل-، وذكر الله جلّ وعلا مناظرته لقومه على

التوحيد، فأمر الله جلّ وعلا نبيه أن يقتدي بجده في هذه الملة التي بعث الله - عز وجل- بها الأنبياء، وهي الحنيفية، وقد قال - ﷺ-: «بعثت بالحنيفية السمحة» فهي حنيفية أي: قائمة على توحيد الله تبارك وتعالى، والسمحة: أي تقوم على التسهيل، فليس فيها مشقة ولا عناء، قد رفع الله جلّ وعلا عنها الآصار والأغلال التي كانت على الأمم السابقة.

ثم فسرها بقوله:«**أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين**». هذه الحنيفية.

قال: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا}[آل عمران:٦٧] أي كان موحدًا خالصًا مستسلمًا لله جلّ وعلا بالتوحيد، فهي: أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين؛ هذه هي الحنيفية. والنبي - ﷺ- قد بعث بهذا التوحيد، فلب دعوته تدور حول التوحيد، بل كل الشريعة التي جاء بها النبي - ﷺ- فهي تدور حول تحقيق التوحيد، **والقرآن كله كما قال "ابن القيم" كلُّه في التوحيد**، ولذلك قال الله جلّ وعلا في أول سورة هود: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}[هود:١]، على ماذا؟ أحكمت ثم فصلت، قال: {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}[هود:٢]، أي: أن هذا القرآن أحكمه الله، ثم فصله على تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، فالقرآن إما أنه أمر بالتوحيد، وإما نهى عن الشرك، وهو نهى ضد التوحيد، وإما خبر عن أهل التوحيد، وكيف نصرهم الله في الدنيا، وإما خبر عن أهل الشرك وكيف عاقبهم الله، وإما خبر عن مآل أهل التوحيد من الجنة، أو مآل أهل الشرك من النار، وإما حقوق ومكملات، للتوحيد كالأمر بالصلاة، والزكاة، والصيام.

ومن تأمل العبادات بدءًا من الصلاة بعد الشهادتين، وكل ما شرعه الله، فكله فيه تحقيق، وتوحيد الله تبارك وتعالى، فالحج كله توحيد من أول ما يلبي الإنسان، والصلاة في أولها إلى آخرها كلها في التوحيد، الله أكبر، والصيام كله توحيد وإذعان، والزكاة كلها توحيد، ومن تأمل أسرار ذلك وجد أن الدين كله قائم على هذا، وهذا معنى قوله: «**أن الحنيفية ملة إبراهيم، أي أن تعبد الله وحده**».، أي الحنيفية التي أمر الله نبيه محمَّد - ﷺ- أن يتبع فيها إبراهيم هي هذه الحنيفية. وهي باختصار: أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، بمعنى: أن تكون عبادتك لله لا لغيره، إذن جاء الأنبياء بأمر الناس بالدعوة إلى عبادة الله - عز وجل- وحده،وأن تكون العبادة مع الإخلاص،لأن العبادة إذا خالطها الشرك، فلا تسمى عبادة شرعًا، وإن سميت عبادة لغة، فالعبادة في اللغة مبنية على الذل، ولذلك يقال: طريق معبد إذا ذلل للسالكين.

وأما العبادة الشرعية المقبولة عند الله تبارك وتعالى فلابد أن تكون مع التوحيد، ولذلك نفي الله تبارك وتعالى عن المشركين العبادة، ومع أنهم عبدوا الله وعبدوا غيره، كانوا يعبدون الله ويعبدون الأنداد، والأصنام، والأولياء، ومع ذلك لم يعتبر الله - عز وجل- عبادتهم شيئًا، بل نفاها عنهم، مع أنها واقعة منهم بأفعالهم، قال: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ * لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ * وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ} [الكافرون:١-٣].لو قائل كيف {ولا أنتم عابدون ما أعبد} وهم عبدوا الله؟! نعم، عبدوه مع الشرك، وإنما قوله: {وَلا أَنْتُمْ عَابِدُونَ} دل على أن العبادة التي فعلوها ليست عبادة شرعًا، وإن كانت عبادة من جهة اللغة، لكن من جهة الشرع عبادة منفية، ومن هنا جاء أن العبادة لا تصح إلا مع التوحيد، فإذا خالطها الشرك لم تسم عبادة شرعًا، وهذا معنى قوله:

«أن تعبد الله مخلصا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس وخلقهم».

أي: كل الناس خلقوا لهذا، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات:٥٦]، وهذا أسلوب قصر أو حصر، كما يسميه في اللغة، وهو يقصر السبب، والغاية في شيء واحد، {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أي ما خلقتهم لأمر آخر، وإنما خلقتهم ليعبدون. وفسر الشيخ معنى {ليعبدون} قال: أي ليوحدون، لماذا فسرها ليوحدون؟ فإنَّ العبادة كما ذكرنا إذا خالطها الشرك هل تسمى عبادة؟ لا، وما بعث الأنبياء بالأمر بالعبادة مطلقا، وإنما أمروا بالعبادة مع الإخلاص، كما قال تبارك وتعالى: {فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ} [الزمر:٢]، قال: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} [البينة:٥]، ما أمروا ليعبدوا الله مطلقًا – لا – وإنما يعبدوه مع الإخلاص، ولذلك كل عبادة لا يصاحبها الإخلاص فليست عبادة شرعا، ومن هنا جاء معنى قوله: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أي: إلا ليوحدون، بمعنى إلا ليعبدوني مخلصين لي العبادة؛ وهذا قد فسرها ابن عباس في قوله جلّ وعلا: {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}، قال: إلا ليوحدون.

فالعبادة لا تسمي عبادة إلا إذا كانت مع التوحيد، ولذلك قال جلّ وعلا: {وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ} [الزمر:٦٥]، كل العمل يحبط، دل على أن العبادة إذا خالطها الشرك فهي حابطة، فليست عبادة شرعًا، وإن كانت عبادة لغة، مثل الإيمان، هناك إيمان شرعي، وهناك إيمان لغوي، لو صدق الإنسان بالنبي – صلى الله عليه وسلم– كان مؤمنًا لغة، فإذا اتبعه وأذعن له واستسلم كان مؤمنًا شرعًا، فالرجل قد يكون عنده إيمان لغوي، بمعنى: التصديق، لكن لا يصحبه اتباع، ولا إذعان، ولا استسلام، فنقول: عنده إيمان لكن إيمان لا ينفعه في الآخرة، لأنه ليس هو الإيمان الذي أمر الله – عز

وجل- به، مثل الصلاة، لو أتى إنسان وصلى، وصلى بمعنى: دعا، فالصلاة إن لم تكن كالوجه الذي جاء به النبي - ﷺ- فليست صلاة، فلو جاء إنسان وصلى الفجر ثلاث ركعات، نقول: ما صليت يا أخي، كيف؟ ما صليت! وهذا ركوع، وسجود؟ نقول: نعم. أنت صليت لغة، لكن لم تصل شرعًا، فهكذا العبادة إن خالطها الشرك فهي ليست عبادة شرعًا، ولذلك نفى الله العبادة عن المشركين مع أنهم كانوا يعبدون الله، ويعبدون غيره، لأنها قد خالطها الشرك، وهذا معنى قوله: {إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} أي ليوحدون.

(المتن)

وأعظم ما أمر الله به التوحيد، وهو إفراد الله بالعبادة، وأعظم ما نهى عنه الشرك، وهو دعوة غيره معه.والدليل قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء:٣٦].

(الشرح)

أعظم ما أمر به الله التوحيد، الأنبياء جاءوا بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، أعظم معروف دعت إليه الأنبياء هو التوحيد، وأعظم منكر حذر منه الأنبياء هو الشرك، وقد ذكرنا أن كل الدين قائم على توحيد الله ونفي الشرك، كل الدين، كل الصلوات، وكله قائمة على هذا، ولذلك هذا من مكملات التوحيد، من حقوق التوحيد، فالدين كله قائم على التوحيد، وعلى ذلك أعظم ما أمر الله به التوحيد، النبي - ﷺ- مكث شطر دعوته يدعو إلى التوحيد من قبل أن يدعو إلى الصلاة، مكث عشر سنين، يدعوا إلى التوحيد فقط قبل

أن تفرض الصلاة، فدل على أن الأساس التي يبنى عليه الفرائض هو التوحيد، فلما استقر التوحيد أمر الناس بالصلاة، ثم الزكاة، ثم الحج، وهلم جرة.

وهذا معنى قوله: «**وهو إفراد الله**».

ما معنى إفراد الله؟

أن يكون الله جلّ وعلا هو المعبود وحده لا شريك له، أن يكون الله فردًا في العبادة بمعنى: أنك لا تصرف العبادة لغير الله، أي: ليس له شريك، وهذا معنى إفراد الله، ليكون الله فردًا في هذا الجنس، وهذا الشيء، إفراد الله بالعبادة بمعنى أن يكون الله هو المعبود وحده لا شريك له، وهو دعوة الأنبياء كلهم، وقد ذكر الله قصص الأنبياء، وما ذكر الله شرائعهم، وما ذكر كيفية صلاتهم، ولا كيفية زكاتهم، ولا كيفية حجهم، ما ذكر الله شيء من ذلك، وإنما قص الله جلّ وعلا قصص الأنبياء وسمى ثمانية وعشرين نبيًا ولم يذكر عنهم إلا التوحيد؛ وذكر الله في قصصهم أن كل نبي قال: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ} [الأعراف:٥٩]، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٢٥]، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ} أي: اعبدوا الله وحده {وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}. وفسر الله إفراده بالعبادة بقوله: {وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} بأن الطاغوت هو عبادة غير الله، أي لا تكون عبادة لله إلا باجتناب أن يعبد شيء مع الله؛ هذه دعوة الأنبياء. ولذلك كل دعوة لا تقوم على أساس الدعوة إلى التوحيد، ومحاربة الشرك والنهي عنه فهي دعوة باطلة، فالدعوات التي لا تقوم على هذه، كالدعوة التي تقوم على فضائل الأعمال، وأخرى تقوم على الأحزاب السياسية، ومصارعة الحكام، وأخرى تقوم على كذا، وكذا،إن لم تقم على أساس تطهير عقائد الناس، والدعوة إلى التوحيد، والنهي عن

الشرك، فيكون هذا أولى أولويات الدعوة، وهو لبها، وروحها فهي دعوة باطلة مخالفة لدعوة الأنبياء. وقوله: والدليل قوله: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}.أي: اعبدوا الله معنا في الشرك، ولذلك لابد أن نتحقق من هذا جيدًا أن العبادة أمرنا بها مع نفي الشرك، ومن أجل ذلك قال: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا}، أي لا تكن عبادتكم مقترنة بالشرك.

(المتن)

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها.

(الشرح)

«**الأصول**». الأصل: هو ما يبنى عليه غيره، الأصل هو الأساس، ولذلك إذا فسد الأصل فسد البناء، لو أراد الإنسان أن يبني بناء، إن كان أصله فاسدًا ضعيفا انهدم البناء، ولذلك سمى الشيخ – رحمه الله – هذه أصولًا لأن كل شيء يبنى عليه، فإذا فسدت ولم تصح عقيدة المرء بها فسد كل دينه، ومن أجل هذا نقول: لو وقع الشرك أفسد العمل كله، فسميت أصلًا لأجل هذا.

(المتن)

فقل: معرفة العبد ربه ودينه، ونبيه مُحَمَّد -ﷺ-.

(الشرح)

هذه الأصول الثلاثة، وهي التي يُسأل عليها العبد في قبره، من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ أي لابد أن يعرف الإنسان معبوده، وإذا عرف معبوده لابد أن يعرف شرائع هذا المعبود وأوامره، وإذا أيقن بذلك عرف أنه لابد له من وسيلة يعرف بها مراد معبوده؛ فإذا تحقق من هذه الأمور تم دينه، عرف الإنسان ربه وحده، وهذا الرب يحتاج إلى الشريعة وأوامر، إذن لابد أن يعرف شريعته، ولا يعرف الشريعة إلا عن طريق الرسول، فإن الله جلّ وعلا لا يكلم خلقه، وإنما يكلم من خص منهم بالرسالة.ولأجل ذلك إذا فقد الإنسان شيء من ذلك انهدم الدين، ومن أجل ذلك سميت بـ"**الأصول الثلاثة**"، وهذه ينبغي أن يعرفها الإنسان، ولا يغفل عنها. وأول مرحلة من مراحل الآخرة، ما هي؟ القبر، فأول ما يخرج من الدنيا أول ما يسأل عنه هذه الأصول: من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟ أي: هذا أول اختبار، فإن صلحت صلح ما بعده، وإن فسد؛ فسد ما بعده.

(المتن)

فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل ربي الله، هو الذي رباني، وربى جميع العالمين بنعمته، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

(الشرح)

الرب: هو السيد، المالك، المتصرف، {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى} [طه:٤٩]، فسّر موسى - عز وجل- الرب بقوله: {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه:٥٠]، {أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ} أي: خلقه على الكيفية التي أوردها ثم هدى، هدى إلى مصالحه الدينية ببعثة الرسل، وإلى مصالحه الدنيوية، فهدى الجن، والإنس للمصالح الدينية، فأرسل إليهم الرسل، وهدى جميع الخلق لمصالحهم الدنيوية، وهذا هو الرب. والمراد (**من ربك؟**) أي: من معبودك؟ لأن الرب إذا أطلق دل على المعبود، قال: {وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا} [آل عمران:٨٠]، ما معنى أربابًا؟ هل مراد أن الأنبياء ما أمروا الناس أن يتخذوا الملائكة والنبيين أربابا بمعنى خالقين؟ لا، إنما {أربابًا} بمعنى: معبودين. ولذلك الرب إذا أطلق دخل فيه معنى المعبود، أي يكون رب بمعنى الخالق، وبمعنى المعبود، وكذلك الإله، فهناك رب، وهناك إله.

أما الإله فيدل على العبادة، لأن الإله هو المعبود.

وأما الرب فتدل على معنى الخلق، والإيجاد والتدبير، لكن قد تطلق الرب ويراد بها معنى المعبود، فقول الملك: من ربك؟ ليس المراد من خالقك؟ لأن الفطرة تدل على ذلك ولا تنكره، وإنما من معبودك الذي تعبده؟ {وَلا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا}.

{قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ}[الأنعام:١٦٤]، هل دعا المشركون النبي أن يعتقد خالقا سوى الله؟ هم ما شكّوا في ذلك، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}[لقمان:٢٥].فقوله: {قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا} بمعنى: أغير الله أبغي إلهًا، أبغي معبودًا؛ وهذا كله يفسر بأن الرب إذا أطلق دخل فيه معنى المعبود، وإذا جمع الرب والإله كان الرب بمعنى الخالق المدبر، والإله بمعنى ماذا؟ المعبود.

فالرب، والإله كالإسلام، والإيمان، إذا أطلق الإسلام دخل فيه معنى الإيمان، فشمل الإسلام الظاهر، الأفعال الظاهرة، وشمل الأمور الباطنة، وإذا أطلق الإيمان دخل فيه الإسلام، وإذا جمعا كان الإسلام اسم لما ظهر من الأعمال كالصلاة، والزكاة. والإيمان اسم لما بطن فكذلك الرب، والإله، إذا اجتمعا، كان الرب بمعنى الخالق المدبر، والإله بمعنى المعبود، وإذا افترقا دخل أحدهما في الآخر. فقول الملك: من ربك؟ بمعنى من إلاهك الذي كنت تعبد؟ وهو صراع الأنبياء، الأنبياء ما بعثوا ليأمروا الناس أن يقروا بأن الله هو الخالق؛ أصلًا هم ما أنكروا ذلك، {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ}[الأنبياء:٢٥]. {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ}[النحل:٣٦]، كل نبي قال: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ}، ولم يقل: يا قوم أقروا بأن الله هو الخالق! لأنهم ما كانوا منكرين لذلك أساسًا.

{وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ}[لقمان:٢٥]، {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ}[يونس:٣١].

فالرب بمعنى: المعبود، فإذا أطلق الرب دخل فيه معنى الإله، فقولك من ربك؟ أي الذي تعبده، عرف الرب هنا الشيخ رحمه الله بما يدل على أنه مستحق للعبادة، قال:

«**ربي الذي رباني، وربى جميع العالمين**».

بمعنى خلقني وأوجدني، وهداني إلى مصالحي الدينية والدنيوية، رباني أي: أوجدني وخلقني ودبرني، وجميع العالمين أيضًا، وكل ذلك بنعمه، وهو معبودي، فإذا كان الله هو الخالق الرازق، المدبر فلابد أن يكون هو المعبود، وإلا كيف يقر الإنسان بأن الله هو الخالق، الرازق، المدبر، ويعبد مخلوقا مثله! مربوبا مثله؟!

ولذلك الله جلّ وعلا إنما يستدل بربوبيته، أي بكونه خالقا للعالمين على استحقاقه للإلوهية، وهكذا في آيات كثيرة، والله جلّ وعلا يقرر الناس بما يدل على وجوب أن يكون هو المعبود.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الفاتحة:٢]، وكل ما سوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم.

(الشرح)

{الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}. العالمين: جمع عالم، والعالم يشمل جميع العوالم: عالم الجن، وعالم الإنس، وعالم الحيوان، وعالم الطير، وعالم النبات . .؛ فهذا يدخل فيه جميع خلق الله، فدل على أن الله رب جميع العالمين.

(وأنا واحد من هذا العالم) فالله جلّ وعلا، هو ربي.

(المتن)

فإذا قيل لك: بمَ عرفت ربك؟ فقل: بآياته، ومخلوقاته، ومن آياته: الليل، والنهار، والشمس، والقمر، ومن مخلوقاته: السماوات السبع ومن فيهن، والأراضون السبع ومن فيهن وما بينهما.

(الشرح)

بم عرفنا الله؟ بآياته، ومخلوقاته، ولذلك كل شيء في الملكوت يدل على أنه واحد تبارك وتعالى، فالعقل، والفطرة كلها تدل وتجعل الإنسان يعلم أنه لم يخلق نفسه، {أَيَحْسَبُ الإِنسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة:٣٦].وقال جلّ وعلا: {أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى * ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى} [القيامة:٣٧-٣٨].

وقال: {أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ} [الطور:٣٥]، الفطرة تقر بأن ما خلق الإنسان نفسه، بل كان لا شيء، {لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان:١] ، ولكن الله أنشأه، ولذلك نعرف الله بآياته، ومخلوقاته، وأن هذا الملكوت، والكون لا يدبره إلا واحد، وإلا لانحل نظامه؛ كما قال: {لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا} [الأنبياء:٢٢]. وقال: {إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ} [المؤمنون:٩١] فلا يمكن أن ينتظم العالم إلا برب واحد، إذ لو كان للعالم ربان لتنازعا، واختل نظام الكون، أو أن يغلب أحدهما الآخر فيكون هو الرب، وذاك المربوب، لكن هذا لا يستقيم؛ ومن أجل ذلك الله جلّ وعلا يُعرّف نفسه تبارك وتعالى بآياته، ومخلوقاته، فكل ما يُري في الكون دليل على وجود الله، وعلى ربوبية الله.ولما سأل فرعون قال: {قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}، أجابه بجواب بسيط {قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى} [طه:٥٠]. يعني أنت نفسك يا فرعون قد خُلقت من لا شيء، كنت نسيًا منسيًا، ثم أصبحت نطفة، فعلقة؛ حتى خرجت، فأجابه بما لا يستطيع أن يجحده. ولذلك قال: {قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الأُولَى} [طه:٥١]، طيب القرون الأولى كانوا على ملة مثل ملتي، ودين مثل دين إيش؟ {قَالَ عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ} [طه:٥٢].

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر:٥٧]، وقوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} [فصلت:٣٧].

(الشرح)

{وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ}، لأنه إذا كان الإنسان أقر بأن هذا مخلوق، فإنه لا يستحق العبادة، العبادة إنما تكون للخالق.

(المتن)

وقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} [الأعراف:٥٤].

(الشرح)

{تبارك الله} تعاظم الله رب العالمين الذي وصفه ما ذكره جلّ وعلا، فالله جلّ وعلا عرف نفسه بهذه الآيات التي يقرو بها، وما أنكروها وما جحدوها، ما جاء نبي إلى قوم ينكرون وجود الله، هذا ما وجد، حتى من وجد اليوم ما يسمون بالدهريين، هؤلاء يجحدون، ولذلك

قال ابن تيمية: **"ما عرف عن قوم قط أنهم أنكروا، أو ادعوا أن للعالم خالقين"** ما يوجد أساسًا، حتى المجوس قالوا: النور والظلمة، والنور خير من الظلمة، وأما أمة تقول: أن للعالم خالقين متساويين، ما قال به أحد، وما يسمون اليوم بالملاحدة ، هؤلاء منكرون، يعني: مناقضون للفطرة، وهم يعلمون ذلك، ليس مذهبًا معين، بل حتى هؤلاء يقولون: بأن من خلق هذا الشيء الطبيعة. إذًا أقروا بأن ثمة شيء أوجد العالم، وهو الطبيعة، إذًا هو أقر بوجود رب الذي تصرف فيه.

أما جماعة تقول: لا رب، وليس هناك شيء صدر عنه الأشياء. ما في أحد يقول هذا إطلاقًا، الدهريون اليوم يقرون بأنها الطبيعة، من الذي أوجد هذا؟ يقولون: الطبيعة، إذًا الطبيعة هي الرب، إذًا أنتم سميتم الرب هي الطبيعة، فكان الطبيعة عندكم ربًا، خالقًا، موجدًا. ولذلك الله جلّ وعلا يعرف الناس بهذه الآيات التي لا ينكرونها، ومن أنكرها فإنما يكابر مكابرة، فإن العقول والفطرة كلها تدل على هذا.

(المتن)

والرب: هو المعبود.

(الشرح)

وهذا هو المعنى، **(الرب هو المعبود)** أي: إذا أطلق الرب دخل فيه معنى العبادة، وإذا جمع الرب والإله كان الرب اسم للخالق الموجد، والإله اسم للمعبود.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة:٢٢].

(الشرح)

أول أمر في كتاب الله هذه الآية، إذا فتحت المصحف أول أمر في كتاب الله هو هذا، {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} سورة البقرة، وهو أول ما ينبغي أن يدعى عليه الناس، قال: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ}، فدل على أن المعبود لابد أن يكون ربًا، إذًا لا يمكن أن يكون معبود غير الله، فإذا أثبتنا انه رب، إذًا دل على أنه لابد أن يكون معبودًا، وإذا كان معبودًا فلابد أن يكون ربًا، لذلك قال: {اعْبُدُوا رَبَّكُمُ} أي اعبدوا خالقكم، ثم ذكر الله جلّ وعلا من صفاتهم، ومن أفعالهم ما يدل على استحقاقه للإلوهية. لذلك الربوبية بمعنى: الإقرار بأن الله هو الخالق الرازق، هي تستلزم الإلوهية، بمعنى أنك إذا أقررت بأن الله هو الخالق، الرازق، استلزم ذلك أن يكون الله هو المعبود، وإذا أقررت بالمعبود تضمن ذلك إقرار، لأنه لا يمكن أن تقول: هذا معبود، وأنت تنكر أن يكون هذا خالقًا، ما يمكن، ولذلك الله جلّ وعلا يذكر الناس بربوبيته التي يقرون بأنه لا شريك له فيها حتى يقررهم بأنه إذا كان لا شريك له في ربوبيته، وفي خلقه، فلا شريك له في عبوديته، وإلوهيته. ولذلك قال: {قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ

مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ}، فإذا أقررتم بأن الله هو الخالق، والفاعل لهذه الأشياء؛ أفلا تتقون الشرك في عبادته! لذلك الإقرار بالربوبية يذكر الناس ويلزمهم بالإلوهية حتمًا، وهنا أن العقل يقطع بأنه إذا أقررت بأن هذا ليس ربا، ولا خالقا، ولا مدبرا، فكيف يكون معبودًا إذًا!؟ ولذلك المشركون ما قالوا: بأن هذا معبود لأنه خالق، وإنما أتوا بحيلة، قالوا: هم وسطاء إلى الله. ولذلك حقيقة الشرك الذي وقع ليس فرعًا عن إقرارهم بأنه هو مع الله مدبر، أو معبود، سواء كان ميت، أو الولي، أنه هو الخالق — لا – وإنما حقيقة الشرك الواقع هو أنهم اعتقدوا أن هؤلاء وسطاء، وشفعاء يقربون إلى الخالق، ومن أجل ذلك اليوم اتخاذ الأولياء هو شرك الأولين، هو عينه، لم يتغير، قال: والله هذا ولي، وصالح، ونحن نعبده لأنه ولي، وأنا رجل مذنب! هذا هو نفسه عين المشركين، {مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى} [الزمر:٣]، ما عبدناهم لأنهم خلقوا، ورزقوا، وإنما عبدناهم حتى يقربونا، فحقيقة الشرك الواقع في العالم هو هذا، الفطرة تنكر أن تكون المعبودات هذه تخلق، وترزق.بل حتى لو سألت اليوم الرافضة وتقول لهم: الحسين يخلق؟ يقولون: لا، الله هو الخالق. طيب خلاص، إذا أقررت أنه الخالق أقر بأنه المعبود

لكن الحيلة الشيطانية أنهم قالوا: لا، أنت لا تصل للخالق لأنك مذنب، صل إليه عبر هؤلاء! فلذلك الشرك كله يقوم على اتخاذ وسائل ووسائط بين المخلوق وبين ربه تبارك وتعالى.

(المتن)

قال ابن كثير – رحمه الله تعالى –: **"الخالق لهذه الأشياء هو المستحق للعبادة"**.

وأنواع العبادة التي أمر الله بها، مثل الإسلام والإيمان، والإحسان.

(الشرح)

إذا عرفنا بأن الله قد أرسل الرسل للعبادة، وأن الأنبياء أمروا بالعبادة، وهذا لا ينكره أحد، لا ينكره لا صوفي، ولا رافضي، ولا أي فرقة من فرق الشرك أبدًا، لو قلت لأي فرقة: تعال: ما هو حق الله؟ سيقول لك: العبادة. ما في أحد يقول: لا، حق الله غير العبادة، كلهم يقرون، لكن النزاع أين يقع؟ في ما هي أنواع العبادة؟ الآن أقررت بأن الله له العبادة. وأذكر أني جلست مع أحد هؤلاء الصوفية فقلت له: ما هو حق الله الذي لا ينبغي أن يزاحم فيه ولا أن يكون معه شريك؟ قال: العبادة. قلت له: قل لي ما هي أنواع العبادة؟ جلس حوالي خمس دقائق يتفكر، ما هي أنواع العبادة؟ ما استطاع أن يهتدي، إلى أن قال: السجود. قلت له فقط! يعني بعث الأنبياء فقط بالسجود! فدل على أن المسألة حقيقة هو تفسير معنى العبادة؟ وأنا لو قلت للمشرك الذي يعبد القبر تقول له: العبادة هي حق من؟ يقول: حق الله، طيب، سجودك هذا، واستغاثتك، هو العبادة، هو يجهل أن هذه عبادة أساسًا؛ ومن أجل ذلك بين الشيخ، ما هي العبادة؟ وإلا الآيات صريحة في أن حق الله هو العبادة، {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ} [البينة:٥]، {فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ} [الأعراف:٥٩]،

{وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ}، ما في أحد يقول: أن العبادة حق لغير الله. لا، ولذلك هؤلاء المشركون ما يسمون الاستغاثة بالميت: عبادة، يقول: لا، توسل.

هكذا يحتالون في تغيير الحقائق الشرعية. ولذلك الشيخ – رحمه الله – بين إذا كان الله هو الخالق، هذا أمر، إذًا بين بأن الله هو الخالق وهو الرازق، إذا عرفنا بأن الله هو الخالق، وهو الرازق إذًا استلزم أن يكون هو المعبود، فإذا عرفنا أنه المعبود استلزم أن نعرف ما معنى العبادة إذًا؟ يعني: العبادة قد تفسرها أنت غير ما أفسرها أنا، فيأتيك المشرك يفسر عبادة بغير هذا، فلا يجعل دعاء الميت عبادة، يقول: هذا ليس عبادة. ولا يجعل استغاثة الغائب عبادة، يقول: هذا ليس عبادة.

ولا يجعل الطواف عبادة، الله جلّ وعلا ألزم الناس بالإقرار، أو هم أقروا بأن الله هو الخالق الرازق، إذًا ثم أمرهم فإذا كان الله هو الخالق الرازق وأنتم تقرون بذلك، إذًا استحق جلّ وعلا أن يكون هو المعبود، إذا اتفقنا، إذا ننتقل إلى تفسير معنى العبادة، وهكذا الشيخ تدرج، فالإقرار بربوبية الله يستلزم الإقرار بأنه هو المعبود وحده لا شريك له. إذا عرفنا أن الله هو المعبود وحده طيب، ما هي أنواع العبادة؟ فأخذ الشيخ يسرد الأنواع التي هي حق الله، فقال: **(الخالق للأشياء، والمستحق لأنواع العبادة)**. العبادة في الأصل هي التذلل مع المحبة، فيقال: فلان عبد لفلان معناه خاضع له، والطريق المعبد المذلل، وعبّده الدهر بمعنى: أذله الدهر، ولا تسمي العبادة عبادة إلا إذا كانت ذلا مع محبة، الإنسان قد يذل لشخص لقهره، لكنه لا يكون محبًا، وقد يحب شخص ولا يذل له، فإذا اجتمع الحب والذل، والخضوع كان هو العبادة، هذا في تفسيرها، ولذلك لابد من المحبة في عبادة الله وفيما أمر

الله، ولذلك لابد أن يفعله الإنسان على سبيل الخضوع، لكن لو فعل الإنسان العبادة على سبيل التكبر، يعني: هو يفعلها وإن كان مستكبرًا آنفا لها؛ هذا ليس بعابد. إذًا لابد أن يكون في قلبه محبة لهذا، فإذا أبغض محبة الله كان مشركًا، ولابد أن يكون ذليلا لها خاضعًا مستسلمًا، ومنقادًا.

إذًا هذا تفسيره من جهة اللغة. طيب كيف أعرف ما هي أنواع العبادة إذًا؟

العبادة في حقيقتها: كل ما أَمر ربنا أن نتعبده، أو أن نتقرب به إليه فهو عبادة.

وقال شيخ الإسلام: "**العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة**". أو أن نقول: كل ما أحب ربنا أن نتقرب به إليه فهو عبادة، فما الذي أحب الله أن نتقرب به إليه؟ هو ما أمرنا به، أو أثنى عليه، أو علق الثواب عليه، كيف تعرف أن الله يحب منك هذا؟ أعرف بأنه أمرني بهذا، فكونه أمرني بهذا إذًا فالمعنى: أنه يحبه، ويحب أن أفعله. و يُثني على فاعله، فيدل على أنه محبوب، ويحب أن أفعله، طيب علق الثواب عليه، إذًا يدل على أنه محبوب له ويحب أن أفعله. إذًا كل ما يحب ربنا أن نتقرب به إليه بأن أمر به، أو أثنى على فاعله، أو علق عليه الثواب فهو عبادة، قال جلّ وعلا: {فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا} [النجم:٦٢]، الخطاب لمن؟ أليس لآدمي؟ طيب {اسجدوا واعبدوا}،إذًا أمرنا الله أن نسجد، وأن نعبد، إذًا هذه عبادة، إذًا أمرنا الله أن نتقرب إليه بهذا. قال: {وَمَا أَنفَقْتُم مِّن نَّفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُم مِّن نَّذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} [البقرة:٢٧٠]، {يعلمه} بمعنى: يثيبكم عليه، وإلا لا شك أن الله يعلمه ولكن معنى {يعلمه} أي: يثيبكم عليه، يعني يعلمه علمًا يثيبكم عليه، فدل على أن الإنفاق محبوب له، ولذلك علق عليه الثواب، وهكذا لو علق الله عليه الثواب، أو أثنى على فاعله، وقال: {الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ

قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ}[آل عمران: ١٩١]، في محضر الثناء، {قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ * وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ}[المؤمنون: ١-٤]، هذا ثناء، إذًا كون أن الله أثنى على هؤلاء، إذًا هذا ترغيب من الله لنا أن نفعله، فكل ما يحب ربنا أن نتقرب به إليه فهو عبادة، ولذلك نفعله متذللين لله، منقادين له، محبين له، أو كما قال شيخ الإسلام: "**اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه**"، والذي يحبه ويرضاه هو ما أمر به أو أثنى على فاعله، أو علق عليه الثواب. وعلى هذا فقوله: {فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ}[الكوثر: ٢]، هنا الخطاب موجه للإنسان أو الإنس والجن، صلّ لله، وانحر له، فدل على أن الصلاة والنحر محبوب لله، يحب أن نتقرب به إليه. وإذا علمنا بأننا نتقرب به إليه لأنه عبادة، وعلمنا أن العبادة لا تصح مع الشرك، وأن حق الله أن نعبده مخلصين له الدين. إذًا معنى ذلك إذا كان الله أمرنا أن نتقرب بهذا الشيء، معنى ذلك: لا يمكن أن يُفعل لغيره، وذلك متى ما ذبح الإنسان لغير الله أو صلى لغير الله أشرك بالله تبارك وتعالى.

فنحن محتاجون أن نعرف أن الله الخالق الرازق ثم هذا يستلزم هذا أن يكون معبود، ثم نعرف أنواع العبادة، وقد عرفنا بأن العبادة لا تصح إلا مع التوحيد والإخلاص، فإذا عرفنا أن هذا من العبادة التي يهمنا أن نتقرب بها إليه، دلّ على أنه لا تصح ولا تقبل إلا إذا كانت خالصة لله، بمعنى: أنه لا يمكن أن يصرف شيء منها لغير الله.فعلى هذا قال: {وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ} أي: يثيبكم عليه، فدل على أن النفقة والنذر عبادة، ووصف الله جلّ وعلا أولياءه، {قَالَتْ إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}[مريم: ٢٦]، {إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي}[آل عمران: ٣٥]، فوصف الله أولياءه بأنهم تقربوا إليه بالنذر،

فدل على أن النذر عبادة، وإذا عرفنا بأنه عبادة، وقد أيقنا بأن العبادة ما تصح إلا مع التوحيد والإخلاص، فدل على أن هذا لا يصرف إلا لله، ومن أجل ذلك فسر الشيخ أنواع العبادة حتى يعرف الناس بأن هذه أنواع العبادة التي لا يصح أن يكون لله – عز وجل– فيها شريك.

(المتن)

ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرهبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها، كلها لله تعالى.

(الشرح)

هذه كلها أنواع، الشيخ ما استوعب، ولكن من أنواعها ثم يفصل ما هي الدلائل على كونها عبادة؟

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} [الجن:١٨].

(الشرح)

{فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} نهى الله أن يُدعى معه غيره، فهذا دل على أن الدعاء عبادة، بل هذا صريح بأن هذه العبادة لا تصح أن تصرف إلا لله، {فَلا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، و{أَحَدًا} نكرة، ويقول علماء اللغة: النكرة إذا جاءت في سياق النفي، أو النهي، أو الاستفهام تدل على العموم، تقول: ما جاءني من أحد. هذا ينفي جميع الأحد، ما جاء

أحد إطلاقًا، لا ذكر ولا أنثى، ولا صغير ولا كبير، ولا أحمر ولا أبيض، لا أعلم شيئا. أي: ما أعلم شيء. فهنا قال: {فَلا تَدْعُوا} نهي {مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، {أَحَدًا} نكرة، غير مُعَرّفة، فـ{أحدًا} هنا دخل فيها كل ما سوى الله، دخل فيها الأنبياء، والأولياء، والصالحين، والأحجار، والأشجار، فهذا صريح بأن الدعاء محض حق لله، ولذلك أمر الله به أن يجعل له، ونهى أن يجعل لغيره، فهذا دل على أن الدعاء عبادة، فمن دعا غير الله، ودعاء غير الله يكون شركًا إذا دعا الغائب، أو دعا الميت، أما أن يدعو الإنسان رجلًا حاضرًا بجانبه، يستطيع أن يعينه على ما يقدر عليه، احمل معي هذه الطاولة، خذ بيدي، سقط في حفرة فيقول: أنقذني يا فلان. هذا لا بأس، {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ} [القصص:١٥]، فأغاثه موسى - عز وجل-؛ لأنه كان حي، حاضر، قادر على ذلك. وأما أن يدعي البعيد الذي لا يسمع، أو أن يدعي الميت الغائب، فهذا فرع عن إقراره وإيمانه بأن هذا يحيط سمعه الأصوات، وبعد موته يغيث من استغاث به، وهذا صفة الله؛ إذًا جعل للمخلوق صفة الله تبارك وتعالى.

(المتن)

فمن صرف منها شيئا لغير الله فهو مشرك كافر.

(الشرح)

أي: صرف الدعاء لغير الله، كما قال: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ}، المساجد، قيل: مساجد، وقيل: أعضاء السجود. أي: أن هذه لا يسجد إلا لله.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} [المؤمنون:١١٧].

(الشرح)

طبعًا قوله: {لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ} هذا ليس مفهوم المخالفة أن إذا عبد من له فيه برهان تصح العبادة، هذه يسميها العلماء قيد كاشف، كما يقول النبي - ﷺ-: «من قتل نبيا بغير حق . . » هل هناك قتل نبي بحق!؟ وإنما المراد به قبح الفعل، أي أنه لا يكون قتل النبي إلا بغير حق، فكذلك لا تكون عبادة غير الله إلا بلا برهان، وليس المراد به قيد، وإنما المراد به يسمونه قيد كاشف أي يكشف قبح الفعل.

قال: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ} أي ليس له برهان، أي ليس هناك إله له برهان،ولكن ليس في القرآن من أوله إلى آخره دعاء أحد سوى الله، ولذلك حتى شبه الشرك ضعيفة جدًا، القرآن كله من أوله إلى آخره ليس فيه دعاء غير الله، أو ذبح لغير الله، أو تعظيم قبر، أبدًا، وإنما فيه أخبار ذلك عن أهل الشرك، {قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا} [الكهف:٢١]، {غلبوا} أي: بالقوة، ما فعلوه بالحجة، فعلوا بالقوة، وهذا سمة أهل البطش، والقوة، والقهر، ما فعلوه بالدليل، والحجة، والبرهان. قال: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} أي معبودا آخر، {لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ}،

وقد بين الله بأن حسابهم جهنم، {إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ}، فوصف الله جلّ وعلا من دعا غير الله بأنه كافر، {إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} والكافر وصف لما ذكر قبله.

(المتن)

وفي الحديث: «الدعاء مخ العبادة».

(الشرح)

أي: أصل العبادة، واللفظ الصحيح: «الدعاء هو العبادة»، لأن الدعاء يطلق ويراد به العبادة القولية، والفعلية، وقد يراد به العبادة الحالية، يعني قد تكون عبادة بلسان الحال، ولسان المقال. لو قل قائل: لماذا تصلي؟ ولم تصوم؟ سيقول: أطلب الجنة، هو في الحقيقة يعبد الله – عز وجل– يطلب الجنة، فالدعاء لما يكون دعاء بمعنى: يا رب أدخلنِ الجنة، أو يكون بدعاء بلسان الفعل، يصلي، ويصوم، وتقول له: لماذا تصلي، وتصوم؟ قال: والله أنا أريد الجنة، إذًا هو في الحقيقة دعا الله، لكن بالفعل وليس بالقول، وواحد يقول: يا رب أدخلنِ الجنة. هذا دعاء بلسان المقال، وآخر يصلي، ويصوم، ويحج ويتصدق، هذا دعاء بلسان الحال، ولذلك سمي الدين كله عبادة لأنه في حقيقته رغبة إلى الله، وطلب الثواب منه، ويراد النجاة من النار، فكله عبادة، ولذلك قال: «الدعاء هو العبادة»، فالدعاء هنا يشمل الدعاء بمعنى السؤال بلسان المقال، ويشمل الدعاء بلسان الحال.

وقوله: {ومن يدع مع الله إلهًا آخر} أي ومن يعبد مع الله إلها آخر، {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ}، هنا يراد به لسان المقال؛ {قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ}[الإسراء:٥٦] أي: ادعوهم واستغيثوا بهم، فالدعاء قد يراد به السؤال،

وقد يراد به العبادة اللي هو لسان الحال، وهذا معنى قوله: «الدعاء هو العبادة» أي: الدين كله، إما سؤال الله بلسان المقال، أو بلسان الحال، ولسان الحال يشمل كل العبادات.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر: ٦٠].

(الشرح)

قال: {ادعوني}، ثم فسر الدعاء بمعنى ماذا؟ قال: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي}، أي: عن دعائي، فدل على أن الدعاء يسمى عبادة، قال: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ} [مريم: ٤٨-٤٩]، قال: {وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، ثم قال: {فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ} ففسر الله الدعاء بمعنى: العبادة، الدعاء يراد به العبادة، ويراد به الدعاء بلسان المقال، وهو السؤال.فقوله: : {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي} بمعنى اطلبوني {أَسْتَجِبْ لَكُمْ}، ثم فسر الطلب وجعله عبادة قال: {إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي} أي عن سؤالي، فهذا يدل على أن الدعاء عبادة، والسؤال عبادة، فمن سأل غير الله ميتًا غائبًا، كان قد عبد غير الله.

(المتن)

ودليل خوفه قوله تعالى: {إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} [آل عمران:١٧٥].

(الشرح)

نهى الله أن يخاف من غيره، وأمر بالخوف منه، {فَلا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ}؛ وهذا ما يسميه العلماء خوف السر، وهو الخوف الذي يصحب الإنسان أينما كان، أما الخوف من الشيء الذي هو مخوف في حال وجوده فهذا أمر طبيعي، أي يخاف الإنسان من الحيوان المفترس، يخاف من العدو، لكن هذا الخوف خوف عبادة فيه ذل، ولذلك المشركون يخافون من الموات كالبَدَوي، ومن فلان، وفلان، ومن يعبدون خوف تذلل وخضوع، خوف مصاحب للتعظيم، والتأليه، والمحبة، والخضوع، والتفخيم، ليس الخوف الذي يخاف فيه الإنسان، الإنسان يخاف عدوه، فمتى ما ذهب عدوه سبه، وشتمه، وتكلم فيه، لكن هذا خوف العبادة لا، **فضابط خوف العبادة هو الخوف الذي يُصاحب الإنسان أين ما كان، وخوف يصاحبه التعظيم**، ولذلك قال: {فَلا تَخَافُوهُمْ} أي هذا النوع، {وَخَافُونِ} فدل على أن الخوف منه عبادة، ولذلك نهى أن يجعل لغيره وأمر أن يجعل له.

(المتن)

والدليل رجائه قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا} [الكهف:١١٠].

(الشرح)

{فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ}، {يَرجُو} دل على أن الإنسان يرجو لقاء الله تبارك وتعالى، فالرجاء عبادة، ولذلك قال: {فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}

أي: لا يرجو غير الله، ولا يطلب بعمله غير الله.

(المتن)

ودليل التوكل قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ} [المائدة:٢٣].

(الشرح)

{على الله} هذا أسلوب تقديم من حقه التأخير يدل على الحصر، {على الله} جار ومجرور، مقدمة على {فتوكلوا} هو الأصل فتوكلوا على الله أمر، والجار ومجرور في محل مفعول به، توكل أنت على الله، فقدم الله جل وعلا هنا الجار والمجرور، قالوا: تقديم ما من حقه التأخير يدل على الحصر، فدل على أن التوكل محصور بمعنى: أنه لا يصرف إلا لله،

{على الله فتوكلوا} أي: على الله توكلوا ولا تتوكلوا على غيره، فدل على أن التوكل عبادة، والتوكل هو الاعتماد على الله – عز وجل-، وتفويض الأمر له مع الثقة؛ هذا هو التوكل.

(المتن)

وقوله تعالى: {ومن يتوكل على الله فهو حسبه}.

(الشرح)

أي: هو كافيه، ومن يتوكل على الله دون غيره فالله – عز وجل- كافيه، ومعينه، ومؤيده، فدل على أن التوكل عبادة عظيمة، وأن من فعل ذلك أعانه الله، وأيده، وكفاه ما يخاف منه.

(المتن)

ودليل الرغبة، والرهبة، والخشوع قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} [الأنبياء: ٩٠].

(الشرح)

يدعوننا حال كونهم راغبين، راهبين، فدل على الرغبة، والرهبة، **الرهبة التي هي فرع التعظيم، والرغبة فرع الإيمان بما عند الله – عز وجل- من النعيم، والرهبة فرع الإيمان بما عند الله – عز وجل- من العذاب، فهو رغبة، ورهبة مصاحبة للتعظيم، والتفخيم، والتأليه،** {وكانوا لنا خاشعين} أي مستكينين، فدل على أن الرغبة، والرهبة كلها عبادات، وصف الله أولياءه أنهم يفعلون هذه الأفعال – عز وجل-، ومدحهم، وأثنى عليهم، قال:

{وكانوا لنا خاشعين} كانوا لله – عز وجل- لا لغيره، {كانوا لنا خاشعين}. فدل على أن الخشوع إنما هو يفعل لله، فامتدحهم الله، وأثنى على أوليائه بأنهم خشعوا. والخشوع هو: سكون الجوارح، وخضوع القلب، وطمأنينته، ولذلك الخشوع محض حق له، لا يوقف خاشعًا إلا بين يدي الله. فإذا وقف يسلم على قبر النبي عليه الصلاة والسلام هل يقف خاشعًا؟ لو قرأت عبارة قال: وتقف عند قبر النبي خاشعًا!. الخشوع حق الله لا يوقف عند أحد خاشع إلا لله. الخشوع: سكون الجوارح وطمأنينة القلب وخضوعه وذله؛ هذا محض حق الله، ما أمر الله أن يوقف بين يدي أحد من خلقه خاشعًا.

(المتن)

ودليل الخشية قوله تعالى: {فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} [البقرة:١٥٠].

(الشرح)

{فَلا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي} [البقرة:١٥٠]، فالخشية قالوا: أشد الخوف. وهذا يدل على عدم الخشية من غير الله، تقول: لا، فلان يثور فيك، فلان يفعل بك، دير بالك تتكلم عن الولي الفلاني ترى كذا، هكذا الخشية تصاحبها ويعتقدون أنهم يحيطون سمعًا بالأصوات، ويضرون الإنسان وربما فعلوا به الأفاعيل، ويُعظمونهم لأجل هذا، يقول: فلان له سر عند الله، وله حظ؛ هذا هو العبادة، وهذا الذي لا ينبغي أن يُصرف إلا لله، {فلا تخشوهم} ولا تحملكم الخشية وإنما اخشوا الله تبارك وتعالى، فهو القادر جل وعلا، وهو المطلع على أموركم، وهو القادر على إيصال الضر بكم أو دفع الضرر عنكم، ولا يملك أحد من المخلوقات هذا إلا الله.

(المتن)

ودليل الإنابة قوله تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ}[الزمر:٥٤].

(الشرح)

{أنيبوا} أي: أذعنوا وارجعوا وتوبوا إلى الله، وأسلموا له اخضعوا واستسلموا وانقادوا. فدل على أن الإنابة والاستسلام لله، والتوبة له، ولذلك قالت عائشة ﵂ في حادثة الإفك قالت: **(وإني أتوب إلى الله ولا أتوب إليك)**، **(أتوب إلى الله)** أي: أخشع وأرجع وأُنيب إلى الله، لأن هذه عبادة التوبة.

(المتن)

ودليل الاستعانة قوله تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين}[الفاتحة:٥].

(الشرح)

{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين}[الفاتحة:٥]، وهذا أيضًا فيه تقديم وتأخير، أي نعبد نحن إياك، {إياك} مفعول به، و{نعبد} فعل، لكن قدم المفعول به وأخر الفعل فهذا يدل على الحصر، {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} أي لا نعبد إلا أنت، {وَإِيَّاكَ نَسْتَعِين}[الفاتحة:٥] أي لا نستعين إلا بك، فدل على أن العبادة محض حق الله والاستعانة، ولا تكون العبادة إلا بالاستعانة، ولذلك قال الحديث: «إذا استعنت فاستعن بالله». فالاستعانة، والاستغاثة، وطلب المدد،

والعون إنما هو لله، ولذلك لو سمى الإنسان غير الله على الذبيحة كان شركًا، لأن {بسم الله} بمعنى: بسم الله استعين، بسم الله ويشرب، أي بسم الله مستعينًا أي أستعين بالله على هذا الشرب، بسم الله ويقرأ، بسم الله ويكتب، بسم الله ولذلك من قال: بسم البدوي، بسم كذا، قد استعان بغير الله؛ وهذا شرك، هذا شرك من جهة الاستعانة؛ لأن هذه المراد بها الاستعانة، قال: «إذا استعنت فاستعن بالله».

(المتن)

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} [الفلق:١]، وقوله: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} [الناس:١].

(الشرح)

والاستعاذة هي: طلب العوذ، أي: طلب الأمن من أمر يخاف منه، فيطلب الإنسان الحماية واللجوء وهذا محض حق الله.

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}، أي: لا أعوذ بغير الله وأمر نبيه أن يقول ذلك، وأمر جميع المؤمنين {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}، أي لا يُستعاذ إلا به، فمن قال: أعوذ بالبدوي، أعوذ بوجهك، أعوذ بكذا لغير الله كان عابدًا لغير الله، لأن هذه أمور كما ذكرنا أمر الله أن يتقرب به إليه، ونهى أن تُفعل لغيره وامتدح أهلها وأثنى عليها، وعلق عليه الأجور.

(المتن)

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} [الأنفال:٩].

(الشرح)

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ}.

والاستغاثة هو: طلب الغوث، أي: طلب النجدة بعد حلول الأمر المكروه، فإذا وقع على الإنسان أمر استغاث، والاستغاثة محض حق الله، {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ}، يستغاث بمن؟ تستغيثونه على المشركين في غزوة بدر بخلاف الاستغاثة بالحي القادر، أغث إن كان عندك غوث كما قالت أم إسماعيل عليها السلام لما سمعت صوتا قال: أغث. وقال: {فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ} [القصص:١٥]، أي: طلب نجدته وإن كان حاضرًا يسمعه ويستطيع وقد كفاه موسى هذا المصري. فالاستغاثة: طلب الغوث، ولا يُطلب الغوث إلا من الله، لا يُطلب الغوث من الغائب، ولا من الميت؛ لأن هذا محض حق الله تبارك وتعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ}، فدل على أن المؤمنين قد فعلوا ذلك وامتدحهم الله وأثنى عليهم بهذا.

(المتن)

ودليل ذبحه قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * لا شَرِيكَ لَهُ}[الأنعام:١٦٢-١٦٣].

(الشرح)

{قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي} أي: ذبحي، {وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ} أي: هذا النسك لا يكون إلا لله، {فَصَلِّ لِرَبِّكَ}[الكوثر:٢]، أي: ابتغاء وجه ربك تقربًا إليه، فدل على أن الذبح عبادة، وأن الله وصف المؤمنين بأن يكون نسكهم لله، وأن يذبحوا لله.

(المتن)

ومن السنة قوله -ﷺ-: «لعن الله من ذبح لغير الله».

ودليل نذره قوله تعالى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان:٧].

(الشرح)

امتدحهم الله {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}، وأظهر منه قوله جل وعلا: {وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ}[البقرة:٢٧٠]، لأن هنا وفاء بالنذر، لكن الوفاء بالنذر فرعًا عن أن النذر عبادة، لأن امتدحهم الله جل وعلا بما نذروه له، أي من عبادتهم، لأنهم نذروا لله، ووفوا نذرهم. وفي قوله: {وَمَا أَنفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ}[البقرة:٢٧٠]، {إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا}[مريم:٢٦]، {إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي}[آل عمران:٣٥]، فدل على أن النذر من

العبادة التي تقرب بها أولياء الله لله تبارك وتعالى، وإنما نُهي عنها في هذه الشريعة لأنها تكليف الإنسان، أو إلزامه شيئًا لم يلزمه الله، لأنه يخالف الحنيفية واليسر الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، ويُخشى أن الإنسان ينذر ولا يفي، لذلك نُهي عنه، **ولم يُنه عنه لأنه ليس بعبادة وإنما نُهي عنه لأنه تكليف الإنسان نفسه بما لم يكلفه الله به، فهو مخالف للحنيفية**، وكثير من الناس لا يفي بنذره.

إذًا العبادة: اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة، أو كل ما يحب ربنا أن نتقرب به إليه فهو عبادة، وكيف نعرف أنواع العبادة؟ إما أن يأمر الله بها، أن ينهى أن تُفعل لغيره، أن يُثني على أوليائه بفعلها، أن يعلق عليها الثواب والأجر؛ كل ذلك علامات على أن الله يحب أن نجعل هذه إليه.

(المتن)

الأصل الثاني: معرفة دين الإسلام بالأدلة، وهو الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والبراءة والخلوص من الشرك وأهله.

(الشرح)

- الأصل الثاني قال: **(معرفة دين الإسلام بالأدلة)**، لأن الإسلام ليس بالآراء ولا بالأقيسة، ولا يُعرف الإسلام بالعقول، وإنما يُعرف بما أمر الله – عز وجل-، لأن الله – عز وجل- لم يجعل دينه وشرعه وفق آراء الناس ولا وفق اجتهاداتهم، ولا وفق أقيستهم، ولا وفق عقولهم وسياساتهم، وإنما جعل الدين وفق ما يحب؛ ولأجل ذلك أرسل الرسل، أرسل الرسل لأن الدين إنما هو على ما يحب ربنا، والخلق لا يستقلون

بمعرفة ما يحبه الله، ولا بمعرفة ما يريده الله وما يرضاه الله، فكان من المهم أن يرسل الله رُسُلًا ويُنزل معهم كتبًا حتى يُعلموا الناس بهذا الدين، وهذا معنى قول الشيخ: **(معرفة دين الإسلام بالأدلة)**، فالإسلام ليس كل من زعمه الزاعمون، فإن كثير من الناس يزعم أن هذا هو الإسلام وليس هذا هو الإسلام، وإنما الإسلام يُعرف بالدليل. فاليوم القاعدة، والأشاعرة كلٌ يدعي أن ما يدعوا إليه هو الإسلام، والعِبرة بالدعوى أم بالدليل؟ بالدليل، ولذا كان معنى قول الشيخ: **(معرفة دين الإسلام بالأدلة)**، ولأجل ذلك لابد أن يربي الإنسان نفسه، وأن يربي الناس على أن يطلبوا الدليل في كل ما أُمروا به، لا أن الدين ما ورثه الإنسان أو وجد عليه الناس، وهذه أكبر ما كان يحتج به المشركون ومخالفة العادة، {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ} [الزخرف:٢٣]، {مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا اخْتِلاقٌ} [ص:٧]، هذا شيء جديد، ما سمعنا به، وجدنا آباءنا على غير ذلك؛ هكذا الناس يعارضون الإسلام لأجل الألفة والعادة. ويأتي الشخص يدعو الميت ويستغاث به ويُدعى للتوحيد، يقول: هذا ما سمعنا من علمائنا ولا من أبائنا، ولا مما عهدنا عليه، عهدنا نعبد الموتى ونستغيث بهم، وهؤلاء أولياء فليس العِبرة بما ظننت وإنما العِبرة بالدليل، ولذلك الإنسان عليه أن يطلب الدليل دومًا، **(معرفة دين الإسلام بالأدلة)**. ثم قال – رحمه الله – في تعريف الإسلام: **(والإسلام هو دين جميع الأنبياء)**.

❖ **الإسلام يراد به أمران:**

- يراد بالإسلام الإسلام بمعناه العام وهو: الاستسلام لله - عز وجل- بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك.

ويراد بالإسلام المعنى الخاص وهو: الدين الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، وقد وصف الله تبارك وتعالى قال: {ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل:١٢٣]، وقال الله في وصف إبراهيم: {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ} [البقرة:١٣١].قال: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الإِسْلامُ} [آل عمران:١٩]، وقال: {وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ} [لقمان:٢٢]، بمعنى: يستسلم له وينقاد له.

فالشاهد: أن الإسلام الذي هو معناه العام وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك؛ هذا دين جميع الأنبياء، {إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ}.

وأما الإسلام بمعناه الخاص أي بالشريعة التي جاء بها مُحَمَّد - ﷺ- بشرائعها الخاصة بها التي خالفت في بعض أنواعها وأوصافها الشرائع السابقة، هذا هو الإسلام بمعناه الخاص، والإسلام بمعناه الخاص شمل الإسلام الذي جاء به الأنبياء، وشمل الإسلام الذي جاء به النبي عليه الصلاة والسلام، والنبي عليه الصلاة والسلام قال: «الأنبياء إخوة لعلات، أبوهم واحد وأديانهم وأمهاتهم شتى»، "**إخوة لعلات**" أي: أصل دينهم واحد وهو التوحيد، وأمهاتهم بمعنى: الشرائع شتى، هذا يُشرع له صلاة على نحو معين، وهذا يُشرع له كذا، وهذا يُشرع له عبادة لم تُشرع لذاك، وهذا يُجعل عليه بعض العقوبات لم تُجعل لذاك، وهذا يباح لهم الغنائم وذاك لم يُبَح لهم غنائم وهلم جرا. فهنا يعرِّف الشيخ - رحمه الله - الإسلام بـ: الاستسلام لله بالتوحيد، أي: الإذعان والانقياد مع القبول لله - عز وجل- بالتوحيد، بمعنى: أن يكون الإنسان موحدًا لله، مستسلمًا منقادًا غير مشرك، قال: (**الاستسلام لله**

بالتوحيد)، والتوحيد المراد به توحيد العبادة، بمعنى أن يستسلم لله – عز وجل– بأن يجعل عبادته لله تبارك وتعالى، ولا يجعل لله – عز وجل– شريكًا. قال: **(والانقياد له بالطاعة)**، لأن من استسلم لله بالتوحيد بمعنى: لم يقع في الشرك لكن لم تذعن جوارحه فهذا ليس بمسلم، ولأجل ذلك يقول أهل السنة بأن الإيمان قول وعمل. والإيمان ما وقر في القلب وصدقته الأعمال، فإن تخلف العمل دل على عدم انتفاعه بالإيمان، وإن كان عنده أصل إيمان لكن أصل الإيمان غير نافع عند الله، فقد يوجد أصل الشيء لكنه لا يدل على نفعه، والعبد قد يصلي ويصوم ويفعل . .، ويترك الصلاة ويكفر، من ترك نوعًا ولو أتى بكل شرائع الإسلام. ولذلك من تخلف عن الانقياد دل على أنه لم يَقِر في قلبه ما أوجب الله – عز وجل–، لأن الإيمان الذي أمر الله به هو مستلزم للعمل، ولذلك أهل السنة يقولون بالتلازم بين الباطن والظاهر؛ ومن أجل ذلك قال عليه الصلاة والسلام: «إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله»، أي: ما صح في القلب سرى على الجسد، وإن فسد ما في القلب سرى على الجسد، إذًا يسري في الصلاح وفي الفساد. فإن تخلف العمل بالكلية دل على فساد ما في القلب، وقد يكون فيه جملة تصديق، تصديق عام، الله جل وعلا وصف اليهود قال: {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} [البقرة:١٤٦]، يعرفونه لكنهم استكبروا ولم ينقادوا له، ولم يستسلموا له، وإن كانوا قد عرفوا وصدقوا في قلوبهم لكن هذا التصديق هل هو نافع؟ لا، لماذا؟ لأنه تخلف عنه الانقياد، وتخلف عنه الإذعان، ولذلك اليهود ما وقعوا في الشرك وإنما وقعوا في ترك الانقياد للنبي عليه الصلاة والسلام بخلاف النصارى.

فالشاهد: أنه لابد من الانقياد، ولذلك الإيمان لا يصح، لذلك من تخلف عنه العمل بالكلية لم يكن مؤمنًا بإجماع أهل السنة والجماعة. وأما القول بأن العمل شرط كمال فهذا قول المرجئة، ونصوص أهل السنة أصرح من أن تُبين، كل كتب أهل السنة المطولات والمتوسطات والمختصرات كلها تدل على أن الإيمان قولٌ وعمل، وإنما صراع أهل السنة والجماعة مع المرجئة حول منزلة العمل من الإيمان، هذا هو الصراع، ما صارعوهم حول منزلة الإيمان في القلب ولا في اللسان إلا طائفة منهم، وإنما الصراع كان على العمل. ولذلك نحن نقول بأن توحيد العبادة: إفراد الله بالعبادة. هل العبادة أمرٌ قلبي ولا أمرٌ فعلي؟ العبادة هي: الذل والخضوع والانقياد، ولذلك إفراد الله بالعبادة، فإذا لم يُذْل العبد عبادة كيف يقال: إنه موحد؟ ما يمكن أن يقال: بأنه موحد، لأنه ... إفراد الله بالعبادة، والنبي عليه الصلاة والسلام ما بُعث ليقول للناس: أقروا بأن الله هو الخالق، أقروا بأن الله هو المدبر، ما بُعث بالإقرار فقط وإنما بُعث بالإقرار الذي يتبعه عمل، أي: أقروا واعبدوا، {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ}، والعبادة فعل وقول، إذًا هي أشياء تصدر عما صح في القلب، فإذا وقر الإيمان في القلب سرى، ومعنى قول أهل السنة والجماعة أن أصل الإيمان في القلب ليس معناه أن الإيمان يصح بمجرد ما في القلب، أي: أن أفعال الجوارح والأقوال هي فرعٌ عما في القلب، فإذا ثبت الأصل ثبت الفرع، الشجرة أين أصلها؟ في جذورها، لكن هل يمكن أن تكون الشجرة بلا ساق ولا ورق يقال: شجرة لوجود الجذور؟ لا، لكن هذه الفروع ما تكون إلا بوجود الأصل. ولذلك قولهم: إن أصل الإيمان في القلب، بمعنى أن أول ما يقع الإيمان في القلب؛ ولذل إذا دُعي الإنسان للإيمان والإسلام أين يقع؟ يصلي قبل أن يؤمن أول ما يقع في قلبه أين؟ يصدق بقلبه ويؤمن ويذعن ثم يتبعه العمل، وليس معنى أن أصل الإيمان في القلب أنه

يصح الإيمان ويكبر ويكون مرضيًا عند الله بمجرد ما في القلب هذا قول المرجئة، وهذا معنى قوله: (**والانقياد له بالطاعة**)، لابد من الانقياد، لابد من انقياد يصحح ما في القلب، ولذلك التلازم بين الظاهر والباطن هذا أمر بإجماع أهل السنة، وهو أمر فطري وحسي وعقلي، وقد دلت عليه دلائل الشرع {وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ} [التغابن:٩]، {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} [البقرة:٨٢]، يقرن الله العمل بالإيمان لأنه فرع عن صحة الإيمان. قال: (**والانقياد له بالطاعة**)، فمن لم ينقد له بالطاعة وإن صدق بقلبه فليس مؤمن، اليهود ما أشركوا وما ادعوا إلهًا مع الله لكنهم أبوا بالانقياد، أبوا أن ينقادوا من نبينا عليه الصلاة والسلام وإن عرفوه في قلوبهم فكانوا مشركين.

قال: (**والبراءة من الشرك وأهله**)، أي: لست تتأسس إلا بالتوحيد مع قبولك أن يُعبد غير الله، لا يقول قائل: أنا أعبد الله ولا أعبد غيره — لا - أنت تعبد الله وتعتقد ببطلان عبادة غيره وتتبرأ منها، {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ} [البقرة:٢٥٦]، ولذلك من لم يعتقد بطلان الشرك وكفر أهله لم يكن مؤمنًا ولم يكن موحدًا، بل لابد أن يعتقد الإنسان بطلان الشرك ويتبرأ منه، ويتبرأ من أهله، ويجاهدهم بقلبه، وقوله، ولسانه، ما استطاع؛ ومن أجل ذلك شُرع الجهاد في سبيل الله، وشُرعت الهجرة من ديار الشرك إلى ديار الإسلام للمباينة والممايزة. ومن دعائم الإسلام وأصوله الولاء والبراء لأنه فرعٌ يصحح إيمانك، الولاء للمؤمنين والنصرة لهم، والمحبة، والبراءة من الكافرين، والبغض لهم والمجاهدة، هذا أساسًا علامة من أظهر علامات صحة الإيمان، فإن صح الإيمان ترتب عليه، ولذلك نفى الله الإيمان عمن لم يوجد منه، {لا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} [المجادلة:٢٢]، قوم يؤمنون يوادون؟ لا، فمن لوازم الإيمان الصحيح الولاء لأهل

الإيمان والمحبة لهم، والبراءة من أهل الشرك والبغض لهم، ولذلك من لم يتبرأ من الشرك ويعتقد ببطلانه بل يصرح بهذا لم يكن مؤمنًا. قال تبارك وتعالى: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ}، من هم الذين معه؟ الأنبياء، أي: معه الأنبياء، قال: {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ}، إذًا هذا قوم قوي، {إِنَّا بُرَآءُ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ}، {إِذْ قَالُوا} لم يكن البراءة في القلب فقط، بغض قلبي – لا – بغض معلن، صريح مجابَه به هؤلاء، {إِنَّا بُرَآءُ} أي: متبرءون من فعلكم معتقدون ببطلانه، {مِنْكُمْ} أي: برآء من المشركين، {وَمِمَّا تَعْبُدُونَ} أي: من عبادة غير الله، أي نتبرأ منكم ونتبرأ من إلوهية من عبدتم، {كَفَرْنَا بِكُمْ} أي ظهر كفرنا وبغضنا ومجانبتنا، {كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا} أي: ظهر بيننا وبينكم العداوة والبغضاء، أي: العداوة والبغضاء ظاهرة ليست أمر قلبي فقط، وإنما أمر ظاهر متبيِّن، {أَبَدًا} أي: مستمرة، {حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ} [الممتحنة:٤] لا تنقطع إلا بهذا، {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ} [الزخرف:٢٦]، براء، تبرأ، أعلن، وصرح. وقال جل وعلا: {قُلْ} أي يا محمد، {يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ} [الكافرون:١]، سماهم بماذا؟ ما قال قل يا قريش، {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ}، وصفهم بما يستحقون، وهذا براءة مما كانوا عليه، ولذلك ما عودي النبي عليه الصلاة والسلام إلا لأنه تبرأ وكفر بهذه المعبودات وأبطل فعلهم، وإلا لو لم يتعرض لهم وعبد الله وحده واكتفى بذلك وأمرهم لقالوا: حسن. ولذلك ماذا قالوا عنه لما جاءوا إلى أبي طالب؟ قالوا: إن ابن أخيك يسفه أحلامنا، ويسب آلهتنا. ما معنى سب الآلهة؟ أنه يقول: إنها لا تستحق العبادة وإن عبادتها باطلة، وإنها شرك وإنكم مشركون، فسموا هذا سبًا، ومن أجل ذلك عادوه. ولما قال لهم: «يا قوم قولوا: لا إله إلا الله» قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ

هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص:٥]، ولذلك **"لا إله إلا الله"** هذه متضمنة للاستسلام بالتوحيد والبراءة، **"لا إله"** البراءة من كل معبود سوى الله، نفي الإلوهية عما سواه وهو الكفر بالطاغوت، **"إلا الله"** إثبات الإلوهية لله جل وعلا، ولذلك لا يصح الإيمان إلا بهذا، يأتيك الصوفي يقول لك: أنا تركت الصوفية. طيب ما تعتقد في الصوفية؟ إن لم تعتقد أنهم مشركون، وأن عبادة الموتى شرك، وأن هؤلاء باطل لن تكون مؤمنًا، لو جاء إنسان قال: أنا مسلم، أنا لا لست نصرانيًا، لكن النصرانية اجتهدوا!، إن لم يعتقد بطلان النصارى واليهود وشرك عباد الموتى، والاستغاثة بهم وما شابه، إن لم يعتقد ذلك ليس بمؤمن، {فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ}، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦]، {وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ} [الزمر:١٧]، لابد. ولذلك قال أهل العلم إن التوحيد له ركنان: كفر بالطاغوت، وإيمان بالله تبارك وتعالى. فلا يصح أن يكون إنسان مؤمنًا بالله ولا يكفر بالطاغوت، أو يكفر بالطاغوت ولا يؤمن ولا يفعل لله، وهذا معنى قوله: **(الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك)**. ولذلك لا يتصور أن يقع الإنسان في الشرك ونعذره بجهله، ما يمكن، يعني لا يمكن الإنسان يعبد غير الله ثم نقول: هو مسلم جاهل. ما معنى مسلم؟ أي: مستسلم، معنى مُسلِم أي مستسلم لله بالتوحيد، منقاد له بالطاعة، متبرئ من الشرك. هذا الرجل الذي يعبد الميت ويقول: يا بدوي. هل تبرأ من الشرك؟ لا، هل استسلم لله بالتوحيد الخالص؟ لا، هل انقاد له بالتوحيد؟ لا، إذًا كيف نقول: هو مسلم!! يأتيك رجل أسود تقول: هو أبيض، صح هو أسود لكن هو أبيض، كيف هو أسود؟ ما ينفع، تناقض، يا أسود يا أبيض، ما يمكن يجتمع هذا وهذا.تقول هو طويل قصير، أو تقول: هو واقف

جالس، متناقضة، إذا أثبتَّ الجلوس نفيت القيام، وإذا أثبتَّ القيام نفيت الجلوس، هكذا التوحيد والشرك ضدان لا يجتمعان، ولذلك لا يصح أن نقول عن عُباد الموتى وإن كانوا جاهلين أن نقول: هم مسلمون. قد نقول: هؤلاء جهال، مشركون، نعاملهم معاملة المشرك، والله جل وعلا يختبرهم يوم القيامة نحتاج إلى إقامة الحجة عليهم، أما أن نسمي من عبد الله مسلمًا هذا خطأ، لا يسمى من عبد غير الله مسلمًا، كيف نقول: مسلم وهو غير مسلم؟ نقول: هل استسلم لله بالتوحيد؟ نقول: لا. هل تبرأ من الشرك؟ نقول: لا. كيف يكون مسلم إذًا؟! وهل الإسلام إلا بالاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والبراءة من الشرك؟ هذا لا تبرأ من الشرك، ولا استسلم لله بالتوحيد، ولم ينقد له بالطاعة، كيف نقول: إنه مسلم؟ ما يمكن. المسلم هو المستسلم، إن كان جاهلًا يختبره الله يوم القيامة ويكون من أهل الفترة، إن كان قد بلغته الحجة خلاص هو كافر باطنًا وظاهرًا في الدنيا وفي الآخرة، لكن نحن عندنا مسلم ومشرك، فمن لم يكن مسلمًا كان مشركًا، ومن لم يكن مشركًا كان مسلمًا، ما فيه مرتبة وسط، ومنزلة بين المنزلتين. ولهذا قضية مهمة جدًا هذا هو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك هو الإسلام بمعناه العام.

(المتن)

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

(الشرح)

هو ثلاث مراتب على حديث جبريل عليه السلام، وأصله الأساس الإسلام، ولذلك جُعل الشهادتين من الإسلام لأنها أصل الدين والصلاة والصيام، ثم مراتب أعلى منها تحقيقات إيمانية، ثم أجل منها وأعظم منها مرتبة المراقبة لله تبارك وتعالى واستحضار ذلك.

(المتن)

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

(الشرح)

النسخة التي بين يدي هو مجموع مؤلفات الشيخ رحمة الله عليه، ومعلوم أن مجموع مؤلفات الشيخ قد جُمعت في أظن أحد عشر مجلدًا قد جُعل عليها ثلة من العلماء والمحققين قابلوه على نسخ، فهذا كتاب الآن الذي هو المجلد الأول هذا كتاب **"الثلاثة أصول"** القائم عليه ثلاث مشايخ محققة، قاموا مقام التصحيح، والمقامة عليه عدة نسخ أهمها المخطوطة رقم كذا المكتبة السعودية المشايخ ناصر الطريم، وسعود البشر، وعبد الكريم مُحَمَّد اللاحم؛ وهذه أظنها والله أعلم هي أصح النسخ التي كان عليها لجنة مشرفة على كل رسالة، وجُمعت المخطوطات، لأنها بمجهود الدولة المملكة العربية.

(المتن)

وهو ثلاث مراتب: الإسلام، والإيمان، والإحسان، وكل مرتبة لها أركان.

المرتبة الأولى: فأركان الإسلام خمسة شهادة أن لا إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فدليل الشهادة قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [آل عمران:١٨].

(الشرح)

{شَهِدَ اللَّهُ}، والشهادة: هي الإعلام بعلم، قال: {إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [الزخرف:٨٦]، والشهادة لا تكون إلا بعلم، {شَهِدَ اللَّهُ}.

وشهادة الله – عز وجل– بإلوهيته تبارك وتعالى شهادة قولية من الله – عز وجل–، وشهادة فعلية؛ لأن الله – عز وجل– قد أثبت إلوهيته وركبه في الفطر وما ركزه في العقول وما أبانه جل وعلا من هذه الأفعال الدالة على وحدانية الله وما أرسل الله – عز وجل– به الرسل؛ فكل هذه شهادات من الله جل وعلا {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء:٧٩]، وتأييد الله لنبيه في دعوته شهادة من الله له بالرسالة، كونه يؤيد الله – عز وجل– نبيًا يد عي أنه رسول الله والله يؤيده، وينصره، ويهلك أعداءه؛ هذه شهادة، ولذلك قال: {وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا} [النساء:٧٩].

قال: {لَكِنِ اللَّهُ يَشْهَدُ بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُ بِعِلْمِهِ}، {يشهد} كيف شهادة شهدها الله؟ بأنه أيد رسوله، وتأييد الله – عز وجل– لرسوله شهادة من الله على صدق ما جاء به؛ لأن

الله – عز وجل– لا يؤيد من افترى على الله، أعظم الكَذَبة وأقبح الكذب؛ الكذب على الله، وما كان الله أن يؤيد رجلًا يدعي النبوة ويفتري على الله – عز وجل–. فشهد الله أنه لا إله إلا الله، بما ركب في العقول والفطر والشواهد والأدلة والملائكة شهدوا، {وأولوا العلم قائمًا بالقسط}، أي: شهد أولوا العلم وهذا ثناء من الله – عز وجل– لأهل العلم إذ قرنا شهادتهم بشهادة الله على أعظم مشهود وهو التوحيد قائما – عز وجل– بالقسط والعدل، {لا إله إلا هو} أكد ذلك {العزيز الحكيم} فهذه شهادة، فدل على أن الله قد شهد، وشهد الملائكة، وشهد أهل العلم بوحدانية الله؛ وهذا دليل الشهادة أنها ركن من أركان الإسلام.

(المتن)

ومعناها أن لا معبود بحق إلا الله، **"لا إله"** نافيًا جميع ما يعبد من دون الله. **"إلا الله"** مثبتًا عبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه.

(الشرح)

"لا إله إلا الله" كلمة التوحيد.

والإله في اللغة هو: المعبود، لو عبد الإنسان هذا سمي إلهًا لغة عند عابده؛ ولذلك كل معبود يسمى إله، والمعبودات محصورة ولا غير محصورة؟ كثيرة المعبودات أو الآلهة كثيرة، الأحجار قد اتخذت آلهة، والأشجار، والأنداد، والأولياء قال {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ} [يس:٧٤] أي: اتخذوا من دون الله معبودات. لكن الآلهة إما أن تكون آلهة بحق وإما أن تكون بباطل، وليس ثمة إله حق إلا الله، وكل إله سوى الله فهو باطل {ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ} أي ما يعبدون من دونه

{الْبَاطِلُ} [لقمان: ٣٠]. ولذلك "لا إله" نفي الإلوهية عمن سوى الله، "**لا إله إلا الله**" أي: لا معبود بحق إلا الله. ولذلك الإله بمعنى المعبود لغة وشرعًا، فالأنبياء ما جاءوا ليقرروا الناس بربوبية الله وأنه الخالق الرازق، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزخرف: ٨٧]، {وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [العنكبوت: ٦١] ما أنكروا ذلك، وإنما جاء الأنبياء بالعبادة {يا قوم اعبدوا الله}، {واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا}، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ}، فمدار دعوة الأنبياء كلها على عبادة من الله. ولذلك بعض أهل الجهل يفسرون الإله بمعنى الخالق، لو قلت لهم: ما معنى لا إله إلا الله؟ قالوا: لا خالق، ولا رازق، ولا نافع إلا الله. لو كان هذا معناها لكان أبو جهل أعظم الموحدين، وأبو لهب موحدًا، لأن الله أثبت في كتابه أنهم يقرون بأن الله هو الخالق، الرازق، المدبر {قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ} [المؤمنون: ٨٨-٨٩]، فما كانوا ينكرون ذلك. ولذلك "**لا إله**" بمعنى: لا معبود. الإله لغة وشرعًا بمعنى المعبود، وصراع الأنبياء مع أقوامهم لم يكن حول ربوبية الله، وأنه الخالق، وإنما كان الصراع حول عبودية الله تبارك وتعالى، وأنه هو المعبود وحده، وكل نبي؛ بدأ من نوح كما قال، قال: {قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ}، وقال هود: {يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ}، وقال صالح: {يا قوم اعبدوا الله}، وقال شعيب: {يا قوم اعبدوا الله}. وكل نبي قال: {يا قوم اعبدوا الله} ما قال: يا قوم أقروا بأن الله هو الخالق الرازق، هم ما كانوا منكرين لذلك. وإنما ذكرهم بربوبية الله التي يقرون بها حتى يدلهم على لزوم أن يكون الله هو المعبود، فمعنى لا إله إلا الله، أي: لا معبود حق إلا الله؛ لأن "**لا**" نافية للجنس، والنافية للجنس تعمل عمل إن، لها مبتدأ وخبر، وإنما يحذف الخبر إذا

كان مفهومًا، تقول: لا رجل في الدار. "**لا رجل**"، "**رجل**": اسم لا مبني على الفتح، طيب أين خبرها؟ يحذف إذا كان معلومًا، ما هو المحذوف؟ لا رجل موجود في الدار، فأنت حذفت موجود إذا كانت ظاهرة.

فـ"**لا إله**" ما هو خبرها؟ حق، لو قال قائل: لا إله موجود إلا الله. هل يصح هذا المعنى؟ لا، لماذا؟ لأن الموجودات كثيرة جدًا، الآلهة لا حصر لها، ما بقي شيء إلا وعبد، لأن ما معنى الإله؟ المعبود، لكن لو قال إنسان: لا إله موجود. كيف إله؟ والله يقول: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً}، والله سماها آلهة، لكنها آلهة باطلة، {ذلك لأن الله هو الحق}، ولذلك لا يصح أن نقول: لا إله موجود. والآلهة كثيرة، "**لا إله حق**" فهو خبرها، وإنما حذف إذا كان معلومًا "**إلا الله**"، فركنها الأول الشطر الأول: براءة من الشرك، وكفر بالطاغوت، وركنها الثاني: إثبات توحيد الله تبارك وتعالى. فلا يقوم الإسلام إلا على براءة من الشرك، وهو تطهير الجنان، ثم إثبات التوحيد، وهذا معنى قوله: (**"لا إله" مثبتًا العبادة لله وحده لا شريك له**).فـ"**لا إله**" نافية لجميع ما يعبد من دون الله، والقرآن فسر ذلك، قال الشيخ: وتفسيرها الذي يوضحها {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ*إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}.شاهد: {إِنَّنِي بَرَاءٌ} هذا تفسير لا إله، إذًا "**لا إله**" معناها البراءة، والبراءة هو الكفر، واعتقاد البطلان، والمجانبة، والبعد، والتبرؤ، {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي} تبرأ من المعبودات من غير الله، وأثبت لله، ثم بين الله جل وعلا بأن هذه هي لا إله إلا الله، قال جلّ وعلا: {وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً}، ما هي الكلمة الباقية؟ "**لا إله إلا الله**"، فكان معنى قوله: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}، هي الكلمة، فدل على أن تفسير لا إله إلا الله هو قوله: {إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ * إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي}، فهنا البراءة وقعت من ماذا؟ من

المعبودات، {بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ}، فدل على أن "**لا إله**" نفي الإلوهية عن غير الله؛ فهذا تفسير "**لا إله إلا الله**". ولما قال الله تبارك وتعالى: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ} [ص:٥] ، {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا} أي معنى: "**لا إله**" نفي الألوهية عمن سوى الله وحصرها بالله ، ولذلك فسروا دعوة النبي – ﷺ– لهم بـ"**لا إله إلا الله**" قالوا: {أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا}، فدل على أن معنى لا إله إلا الله: حصر الإلوهية بالله، ونفيها عما سوى الله،{إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ}. قال جلّ وعلا: {إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ * وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَجْنُونٍ} إذا قيل لهم: لا إله إلا الله. يستكبرون، وعلموا أن معنى لا إله إلا الله أنه ترك الإلوهية عمن سوى الله،ونبذ معبود اتهم وحصرها لله.{أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا} لأن "**لا إله**" فيها أمر بترك الآلهة واعتقاد بطلانها، وهذا تفسير لا إله إلا الله، وليس معناها لا خالق، ولا رازق، لو كانت كلمة التوحيد لا رب إلا الله، لكان تفسيرها بأنه لا خالق، ولا رازق، ولا مدبر، صحيحًا ولكن كلمة التوحيد ليست لا رب إلا الله، وإنما لا إله إلا الله.

(المتن)

وقوله تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}.

(الشرح)

هذا تفسير "**لا إله إلا الله**"، {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ} أي: نشترك نحن وأنتم ونتفق عليها، {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ}: هي لا إله إلا الله، فقوله: {أَلَّا نَعْبُدَ}تقابل "**لا**

إله"، {إِلَّا اللَّهَ} تقابل "**إلا الله**"، فدل على أن "**لا إله**"، والإله هنا بمعنى المعبود، ليس كما فسرها المشركون أنه لا خالق، ولا رازق، فقول: {أَلَّا نَعْبُدَ}، أي لا إله إلا الله، إذًا هذا تفسير لكلمة لا إله إلا الله، فلا إله إلا الله مفسَّرة في كتاب الله، وهذا معنى قوله جلّ وعلا: {أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ}، فسرها الله {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}، أي: هذا هو الاستسلام، {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ}، هذا هو الاستسلام، وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك، فقوله: {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ}، هذا تفسير لكلمة التوحيد. وقال تبارك وتعالى: {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}، {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ} هو لا إله إلا الله، فمعنى "**لا إله**" فسرها الله، {أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ}، {أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ}، {إنني براء مما تشركون}، كلها تفسير "**لا إله**"، فدل على أن "**لا إله**" فإنما تدور على نفي العبودية عما سوى الله، وليس نفي الربوبية عما سوى الله.

(المتن)

ودليل شهادة أن محمَّد رسول الله: قوله تعالى: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}.

(الشرح)



{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ} {مِنْ أَنْفُسِكُمْ}: أي البشر، تعرفون نسبه، وتعرفون صدقه، وأمانته، ما جاءكم من تجهلونه، {عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} أي: يشق عليه أن يرى عنتكم، والمشقة بكم، فهو يطلب اليسر، والسماحة لكم، {حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} بالهداية إلى الصراط المستقيم، {بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ}، رءوف بكم، رحيم بكم، ولذلك بعث النبي - ﷺ- بالحنيفية السمحة، وما اختير بين أمرين إلا أختار أيسرهما، وهذا فيه الشهادة للنبي - ﷺ-، {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ}، فبين الله أنه قد بعث لهم رسولًا على هذه الصفة. الشيخ — رحمه الله -

(المتن)

ومعنى شهادة أن مُحَمَّد رسول الله طاعته فيما أمر ، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما نهى عنه وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

(الشرح)

هذا الأصل، هذا معنى شهادة أن محمدًا رسول الله، ما معنى أن تشهد أن محمدًا رسول الله؟ ليس أن تعلم أنه رسول، بل معنى الشهادة: ما يترتب عليه عمل.

أولا: طاعته فيما أمر، إذا علمت أنه رسول إذًا لابد من الطاعة، فمن لم ينقد له بالطاعة، هل آمن برسالته؟ ما آمن، {يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ} عرفوا لكن ما اتبعوا.

قال: **(طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر)**، لأن مقتضى أن يكون رسولًا أن يكون مخبرًا بالصدق، ولذلك كل ما أخبر به النبي - ﷺ- لابد أن نؤمن به، ولذلك من كذب خبر النبي - ﷺ- بعد ثبوته عنده فهو كافر مرتد، ولأجل ذلك كفر العلماء الجهمية؛ لأن قولهم في الصفات يستلزم التكذيب، إذا قالوا بأن الله لا يوصف لا بسمع، ولا ببصر، ولا بشيء



من الصفات، حقيقة قولهم تكذيب ما جاء به النبي - ﷺ-، هذا ما يمكن أن يُقبل، كله تكذيب. ولذلك كل قول مآله يستلزم التكذيب فهو كفر، وردة عن دين الله، فلابد من تصديقه فيما أخبر، كل ما يُخبِر به، **(واجتناب ما نهى عنه وزجر)**، لأنه انقياد، الانقياد: إما أن تفعل ما أمر، أو تجتنب ما نهى، ولابد أن تعبد الله بما شرع، وهذا معنى أن نعتقد أن الشريعة لا تؤخذ إلا منه، فحصر الشريعة به، وألا يكون للإنسان مصدر يأخذ منه الشريعة إلا ما جاء به، ولأجل ذل بعث الأنبياء، لو كان الله - عز وجل- أباح للناس أن يتعبدوه بما شاءوا، أو بما هووا أو بما ورثوه، ما أرسل الرسل.

ولذلك لا يعبد الله إلا بما شرع النبي - ﷺ-، فمن تعبد الله - عز وجل- بالبدع فقد لم يشهد بالرسالة على حقيقتها؛ ولذلك قال الإمام مالك - رحمه الله -: **(من زعم أن شيء من البدع حسن فقد زعم أن محمدًا قد خان الرسالة)**. فإن النبي - ﷺ- توفي وما ترك شيء يقرب إلى الله إلا أخبرنا به، وعلى هذا فلا مجال للبدع، لأن الدين قد بُلغ كاملا.

(المتن)

ودليل الصلاة والزكاة وتفسير التوحيد قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.

(الشرح)

{وَمَا أُمِرُوا}، حصر، أي: لم يؤمروا بشيء إلا هذا، فجعل المأمورات كلها محصور في هذا، {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} ما أمروا إلا ليعبدوا الله - عز وجل- عبادة مشتركة مع غيره — لا - عبادة خاصة، أي: عبادة سالمة من الشرك، عبادة خالصة لله تبارك وتعالى، هذه هي العبادة المقبولة، وما سوى ذلك فليست مقبولة. {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ



{مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} أي: الإذعان، والعبادة، والدين المراد به: ما دان الإنسان به ربه، بمعنى: أذعن له، وخضع له، {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} ويشمل الدين كل ما شرع الله. {حُنَفَاءَ} أي: مستقيمين على التوحيد، مائلين عن الشرك، زائغين عنه، بعيدين عنه. ثم فسر بعض الأشياء المهمة في الدين؛ قال: {وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ}، فدل على أن قيام الصلاة، وإيتاء الزكاة مما أمر به المسلمون، {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}، هو الدين القيم.

(المتن)

ودليل الصيام قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}.

(الشرح)

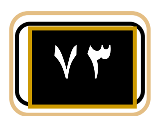
{كُتِبَ}: بمعنى فرض، {إِنَّ الصَّلاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا}، كتب الله كذا، أي فرضه، وجعله مكتوبًا بمعنى مفروضًا.

(المتن)

ودليل الحج قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}.

(الشرح)

{وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ}، على الناس بمعنى الوجوب، عليك كذا، عليكم أنفسكم، تدل على الوجوب، فهذا يدل على وجوب الحج، وأنه لا يجب إلا على من استطاع إليه سبيلًا. ثم بين



الله جلّ وعلا كفر من جحد وجوب الحج {وَمَنْ كَفَرَ} أي: من جحد وجوب الحج، فالله جلّ وعلا غني عنه.

(المتن)

المرتبة الثانية: الإيمان، وهو: بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان).

(الشرح)

الشيخ رحمه الله مازال يتكلم على الأصل الثاني وهو: معرفة الإسلام بالأدلة، وذكر أن الإسلام كما ذكرنا ثلاث مراتب:

- المرتبة الأولى: الإسلام ثم فصله، ثم تكلم عن المرتبة الثانية وقال هو: الإيمان.

والإيمان هو: الاعتقاد الجازم بوجود الله تبارك وتعالي، وبربوبيته، وإلوهيته، وما له من الأسماء والصفات، فهو اعتراف وإقرار بالله تبارك وتعالى، يستقر في القلب، يتبعه على ذلك العمل والقول.وذلك الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد، وقول، وفعل؛ وهذا معنى قول أئمة السنة: أن الإيمان قول، وعمل.

يريدون بالقول: قول القلب، وقول اللسان.

أما قول القلب: فالمراد به التصديق.

وقول اللسان: أي ما أمر به الإنسان يقوله بلسانه كالشهادتين، وكل ما أوجب الله – عز وجل– أن يقوله، والعمل يشمل عمل القلب، أعمال القلوب: كالإخلاص، والإذعان، والاستسلام، والحب، والرجاء.

وعمل الجوارح وهو: كل ما أُمِر الإنسان أن يفعله بجوارحه؛ فهذا معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان، والإيمان مرتبة قد يراد بالإيمان جملة الإسلام، وجملة الدين. فيقال: مؤمن. بمعنى: مؤمن، مسلم، محسن أي: اكتمل الإسلام كله.

وقد يراد بالإيمان ما كان في القلب.

ومسمى الإسلام والإيمان كما قال أهل العلم وهو الراجح: أنهما إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا. أي: إذا ذكر الإسلام والإيمان كان الإسلام اسم لما ظهر من الأعمال، والإيمان اسم لما بطن من القلب. وقد جاء في ذلك حديث الإسلام علانية، والإيمان في القلب فعلى هذا فإذا جاء في موضع واحد الإسلام، والإيمان كان الإسلام ما ظهر الصلاة، والصيام، والشهادتان، ونحو ذلك هذه أمور ظاهرة تسمع وتُرى.

والإيمان اسم لحقائق ما في القلب كالإيمان بالله، وملائكته، ورسله، واليوم الأخر، وحقائق الإيمان كالحب، والخوف، والرجاء.

أما إذا أفرد الإسلام دخل فيه الإيمان أي كان الإسلام شاملًا للإسلام كله لحقائق ما في القلوب والأبدان، واللسان.

وكذلك إذا أطلق الإيمان وحده ولم يذكر معه الإسلام كان الإيمان يشمل الدين، والإسلام كله.

وقوله: **(هو بضع وسبعون شعبة)** أي: الإيمان أنواع، وقد جاء ذلك نص عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال: «أعلاها قول لا إله إلا الله» لأنها بوابة الإسلام، ما يدخل الرجل الإسلام إلا بالقول؛ حتى لو اعتقد وصدق بقلبه إذا لم ينطق بلسانه فهو كافر، قال الله – عز وجل–: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ [فصلت: ٣٠]، قالوا: لابد من القول.

وقال: «من قال: لا إله إلا الله دخل الجنة»، «من قال»، ما قال: من اعترف، من أقر، من صدق بل : من قال، فالقول لابد منه، ولذلك بوابة الإسلام وعلامة الإسلام هو القول، وهذا يدل على أن بعض شعب قوليه قال: «وأدناها إماطة الأذى عن الطريق» هي أقل درجات الإيمان أو أقل شعب الإيمان وأنواع الإيمان إماطة الأذى، وإماطة الأذى فعل، وهذا يدل على أن الأعمال من الإيمان وتسمى إيمان، فالصلاة إيمان، والزكاة إيمان، والحج إيمان.

قال: **(والحياء)** وهو عبادة قلبية، شعبة من شعب الإيمان، وجمع النبي - ﷺ- في هذا الحديث أعلى الإيمان وهو الأمر القولي، وأدنى الإيمان وذكر بعض شعبه فدل على أن الإيمان اعتقاد في القلب منه من هو عمل قلبي ومنه ما هو قول اللسان، ومنه ما هو عمل بالجوارح؛ وهذا الدليل لأهل السنة على أن الإيمان قول، وعمل.

(المتن)

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ} [البقرة:١٧٧].

ودليل القدر: قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩].

(الشرح)

أركانه ستة كما جاء في حديث ابن عمر في حديث جبريل أن تؤمن بالله. والإيمان بالله يشمل التصديق بالله، والإيمان بربوبيته، وإلوهيته، فالإنسان يؤمن بوجود الله، وبربوبيته، وأفعاله تبارك وتعالى، ويؤمن بأسمائه وصفاته، ويؤمن بإلوهيته واستحقاق، واستحقاق العبادة



وحده لا شريك له، وكذلك الإيمان بالملائكة وهو خلق من خلق الله خلقهم الله من نور لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون.

و(**كتبه**) أي: الإيمان بأن الله أنزل كتبًا على بعض أنبيائه وليس كل نبي بعث بكتاب، والكتب نعلم منها ما سمى الله جل وعلا في القرآن كالتوراة، والإنجيل، والزبور، وصحف إبراهيم.

والإيمان بالرسل التصديق بأن الله تبارك وتعالى قد بعث رسلًا لدعوة الناس إلى شرع الله تبارك وتعالى، وتحذير الناس من الشرك، فهؤلاء صفوة الله – عز وجل– من خلقه، ونعلم أن الله – عز وجل–قد بعث رسلا كثيرين وأن من سمى الله جل وعلا في القرآن هم ثمانية وعشرون نبيًا ورسولًا.

والإيمان باليوم الآخر أي: التصديق بأن الله جلا وعلا يبعث الناس بعد موتهم وأنه يحاسبهم، وأن مآلهم إما إلى جنة أو إلى نار؛ هذا هو الحد الأدنى من الإيمان باليوم الآخر، واليوم الآخر يشمل كل ما بعد الموت: يشمل ما في القبر أيضًا.

والإيمان بالقدر أي: أن الله عز وجل قد علم الأشياء قبل وجودها، وأنه كتب كل شيء في اللوح المحفوظ، وأنه شاء كل شيء وخلقه وأوجده وفق ما علم، فالله جلا وعلا قد شاء الأشياء التي وقعت وقد كتبها وعلمها قبل وقوعها، فأوجدها وفق علمه السابق، وفقًا لكتابته؛ فهذا هو الإيمان بالقدر، فكل ما هو واقع هو بأمر الله، وبإرادة الله تبارك وتعالى.

والدليل قوله: {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} [البقرة:١٧٧]، ليس هذا البر الذي يتنافس فيه الناس هو أن نتسابق على القبلة، حقيقة البر هو ما وقر في القلب، قال: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}، وهنا لما



عاب اليهود على المسلمين أنهم غيروا القبلة قال: ليس البر هو في استقبال المشرق والمغرب وإنما هذا طاعة لله إن قال: استقبلوا المشرق. استقبلنا، المغرب استقبلنا، وإنما حقيقة البر هو الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، وهنا ذكر الله جلا وعلا هذه الأمور الخمسة. ثم ذكر الشيخ رحمه الله دليل القدر في قوله: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} [القمر:٤٩]، أي: كل شيء خلقه الله مقدرًا قد علمه وكتبه وشاءه ثم أوجده وفق ما علم.

(المتن)

المرتبة الثالثة الإحسان ركنٌ واحد وهو: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك».

والدليل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} [النحل:١٢٨].وقوله تعالى: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}[الشعراء:٢١٧-٢٢٠]. وقوله تعالى: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}[يونس:٦١].

(الشرح)

المرتبة الثالثة من مراتب الإسلام أو معرفة الإسلام للأدلة هي مرتبة الإحسان وهى مرتبة واحدة، ركن واحد، هذا على ظاهر كلام الشيخ – رحمه الله – وهي مرتبة مراقبة واستحضار اطلاع الله – عز وجل– على العبد، وهذه أكمل المراتب وأعلاها لأن من استحضر إطلاع الله – عز وجل– عليه، وعبد الله عز وجل كأنما يرى الله فإنه حتمًا سيمتنع عما حرم الله تبارك وتعالى، ويلتزم ما أمر الله.

ولذلك هذه مرتبة عظيمة وقد نوه الله جلا وعلا على المرتبة هذه في كتابه وسماها بالإحسان لحديث جبريل عليه السلام.



وقوله: **(أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك)** أي: اعبد الله كأنك تراه، نعم إن كنت لا ترى الله عز وجل في الدنيا لكنك إن لم تره فهو يراك.

وقال بعض أهل العلم: بل هاتان مرتبتان:

المرتبة الأولى: أن تعبد الله كأنك تراه. أي: يعبد الإنسان ربه كأن ما يرى ربه.

والتي تليها أو أدنى منها: أن يستحضر أن الله عز وجل يراه.

لكن ظاهر كلام الشيخ أنها هي مرتبة واحدة.

فقوله: **(فإن لم تكن تراه)** أي نعم اعبد الله كأنك تراه، صحيح أنك لا تراه لكنك لكن الله عز وجل يراك ويطلع عليك. والدليل قوله: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ}أي: في عبادة الله تبارك وتعالى، المحسنون أحسنوا وراقبوا الله تبارك وتعالى. {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ}، والله جلا وعلا يذكر نبيه بإطلاعه عليه فقال: {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ}، أي: وأنت تتقلب مع الساجدين {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}؛ فهذا فيه استحضار مرتبة المراقبة.وقوله: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا}.فالله جلا وعلا من أسمائه أنه شهيد؛ يشهد كل شيء فالغيب عنده شهادة تبارك وتعالى، {كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}، أي: تفعلونه وتباشرونه. فالله جلا وعلا يذكر العباد بأنه مطلع عليهم، فمن استحضر هذه المرتبة واستحضر هذا الأمر فهذه مرتبة الإحسان وهى أعلى درجات الإسلام.

(المتن)

والدليل من السنة تعريف جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله تعالى عنه قال: بينما نحنو جلوسٌ عند رسول اله صل الله عليه وسلم إذ اطلع علينا رجلًا شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يُرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي – صلى الله عليه وسلم– فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا مُحَّمد أخبرني عن الإسلام؟ قال: «أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن مُحَّمد رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا»، فقال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدقه! قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الأخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره» قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: «أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك». قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»، قال: فأخبرني عن أماراتها؟ قال: «أن تلد الأئمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاه يتطاولون في البنيان، قال: فمضى فلبثنا مليًا، قال: «يا عمر أتدري من السائل؟» قلت: الله ورسوله أعلم. قال: «هذا جبرائيل أتاكم ليعلمكم أمر دينكم».

(الشرح)

هذا هو الدليل على هذه المراتب الثلاث: مرتبة الإسلام، وأعلى منها مرتبة الإيمان، وأعلى منها مرتبة الإحسان.

وجبرائيل جاء إلى النبي عليه الصلاة والسلام في صورة رجل، وهذا يدل على أن الملائكة يتشكلون ويأتون بغير صورهم، فهذا فيه إثبات الملائكة، وفيه أيضًا طريقة أخذ العلم وطلب العلم، وهو سؤال العالم، وثني الركب بين يديه، فإن جبرائيل جاء يعلم الصحابة كيف يُطلَب العلم؟ وما الذي ينبغي أن يسأل عنه؟ ففيه السؤال عن أمر مهم، ولذلك سأل عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، وسأل عن علامات الساعة؛ لأن هذا يستوجب أن يعمل الإنسان وأن يستعد لها، وجلس وثنى ركبتيه ووضع يديه على ركبتيه؛ فهذا فيه وسيلة لطلب العلم، وهذا يدل على أن الأصل في أخذ العلم هو الأخذ ممن هو متمكن فيه، وهو أخذ العلم بالتلقي هكذا العلم ينقل، النبي عليه الصلاة والسلام نقله للصحابة على هذا النحو، تلقاه الصحابة تلقيًا مشافهة؛ وهكذا كل جيل أخذه. ولذلك من أخذ العلم بهذه الطريقة تمكن منه وقوي فيه ومن أخذه بغير هذه الطريقة لابد أن يقع فيه خلل، وما من صاحب بدعة إلا وكُل أصحاب البدع يشتركون في أنهم لم يعرفوا بطلب العلم على العلماء، ما عرف أن أحدًا صار رأسًا في بدعة قد كان معروفًا بأخذ العلم من أهله أبدًا، كل أهل البدع بلا استثناء كلهم مجمعون على هذه الصفة وهو أنهم ما أخذوا العلم عن العلماء، نعم، قد يأخذون بعض العلم، واصل بن عطاء كان يحضر حلقة الحسن البصري كن لم يلازمه، وإنما حضر فترة، أما أن يكون رجلًا أخذ العلم ولازم العلماء فترة ثم صار رأس بدعة هذا لم يعرف وقد نص على ذلك أهل العلم، وذكر ذلك الشاطبي أيضًا في "**الموافقات**".

ثم بين النبي - ﷺ- الإسلام ففسر الإسلام بالأعمال الظاهرة، وفسر الإيمان بالأعمال الباطنة القلبية، وفسر الإحسان بالمرتبة العلية ومرتبة المراقبة والاستحضار. وقوله لما سأل عن الساعة قال: أخبرني عن أماراتها؟ وبين بأن الساعة لا يعلمها إلا الله قال: «أن تلد الأئمة

ربتها» أي ينقلب الأحوال، تصبح البنت كالسيدة؛ هذا يدل على أنه في آخر الزمان سيكثر العقوق، ويصبح الأبناء كالسادة، ويصبح الآباء كالعبيد، والأمهات كالإماء. «وأن ترى الحفاة الرعاة العالة رعاء الشاة» أي أهل البادية يدخلون في البنيان ويتنافسون فيه أيهم أطول بنيانا من الآخر؟ يتطاولون.

وقوله: «هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم» دل على أن الدين يشمل هذه المراتب الثلاثة، أنه إذا أُطلق الدين شمل الإسلام، والإيمان، والإحسان؛ وهذا معنى قوله تعالى: «أتاكم يعلمكم أمر دينكم» فكل هذه الأشياء هي داخلة في الدين.

(المتن)

الأصل الثالث: معرفة نبيكم مُحَمَّد - ﷺ- وهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام، وله من العمر ثلاثة وستون سنة، منها أربعون قبل النبوة وثلاثة وعشرون نبيًا رسولًا.

(الشرح)

(**الأصل الثالث**: **معرفة نبينا مُحَمَّد** - ﷺ-) لأنه هو الواسطة في التبليغ، والأنبياء واسطة بين الله وبين خلقه في ماذا؟ في الدعاء، في العبادة، وإنما هو واسطة في التبليغ أي لا يُتلقى الدين إلا عن الأنبياء، لا يُتلقى وحيًا، أوحى إلي ربي، أو حدثني قلبي عن ربي، أو إلهامًا، أو منامًا، فإن الدين لا يتلقى إلا عن الأنبياء.

فمن جاء وقال: هذا والله الأمر استفدته منامًا، وذاك يقول: استفدته إلهامًا. وهذا يقول: استفدته بالتجربة والخبرة. وذاك يقول: استفدته بالوجدان والذوق. وآخر يقول: استفدته من



السياسة. وذاك يقول: حدثني قلبي؛ وهلم جرا، فإن الدين لا يؤخذ إلا عن طريق الرسل، ومن هنا جاء أهمية أن يعرف الإنسان الرسول الذي بعثه الله – عز وجل– إليه.

ورسولنا وهو خاتم الأنبياء مُحَمَّد، وهو مُحَمَّد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب إلى آخر اسم النبي – ﷺ–. والله – عز وجل– قد اصطفاه وجعله من العرب فإن النبي – ﷺ– قال: «إن الله اصطفى بني إسماعيل، واصطفى من بني إسماعيل كنانة، واصطفى من كنانة قريش، واصطفى من قريش بني هاشم، واصطفاني من بني هاشم، فأنا خيار من خيارٍ من خيار»، وذلك أفضل نسبٍ على وجه المعمورة هو نسب النبي – ﷺ–؛ هذا أشرف نسب، والنبي – ﷺ– من نسل إبراهيم عليه السلام، الأنبياء كلهم الذين جاءوا بعد إبراهيم كلهم من نسله، فلابد أن يعرف الإنسان اسم النبي إلى هاشم؛ لأن آل البيت إذا أُطلق آل البيت ممن تحرم عليهم الصدقة وممن لهم نصيب أيضا في الفيء في بيت مال المسلمين كما سماهم الله هم من يجتمعون مع النبي – ﷺ– في هاشم، كل من اجتمع معه في هاشم فهو من آل البيت، فآل العباس وآل عقيل، وآل جعفر، وآل علي؛ كل هؤلاء من أهل بيت النبي – ﷺ–. وهاشم من قريش، وقريش من العرب، والعرب أفضل من غيرهم، وهذا معتقد أهل السنة والجماعة أن جنس العرب أفضل من غيرهم من الأجناس، وهذا معتقد، ولذلك من أنكر ذلك فهو من الشُّعوبية الذين كانوا يبغضون العرب.

والجنس المراد به أن الله ركب في العرب من الطباع والسجايا، ووهبهم من اللسان ما فاقوا غيرهم، فإن الإنسان يفوقه غيره إما بقوة البيان واللسان، وإما بما ركب فيه من السجايا والخلال. وقد ركب الله في العرب ما لم يركب في غيرهم فهم أقوم الناس بالدين، وهذا الدين

قام على العرب في أول الإسلام، وفي كل القرون أعظم الأوقات كان الأوقات التي يقود فيها العرب، وسيعود الدين في آخر الزمان بقيادة العرب أيضًا.

فالعرب من حيث الجنس أفضل من غيرهم وهذا معتقد أهل السنة والجماعة، لا أن كل عربي أفضل من كل عجمي لا، بل وجد من الأعاجم كالبخاري وغيره، لكن جنس العرب على سبيل العموم أفضل كما يقال: جنس الرجال أفضل من جنس النساء. وقد تأتي امرأة تفوق آلاف وملايين من الرجال لكن المراد به الجنس على سبيل العموم.

يقول: إنه عاش ثلاثة وستين سنة وأتته الرسالة وهو بن أربعين سنة بعد ما كمل وبلغ أشده حتى قال – عز وجل-: {حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً} [الأحقاف:١٥] فدل على أن كمال القوة وكمال العقل هو تمام الأربعين.

(المتن)

نُبئ بـ{اقرأ} وأرسل بـ{المدثر}، وبلده مكة.

(الشرح)

نُبئ بـ{اقرأ} وأرسل بـ{المدثر}. يدل على أن الإنباء غير الإرسال، ومن هنا جاء التفريق بين النبي والرسول.

قال: (**نُبئ**) بمعنى أنه أتاه الوحي وأصبح نبيًا أي: يوحى إليه من الله بـ {اقرأ}؛ لأن اقرأ ليس فيها أنه أمره بالتبليغ وإنما {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ * خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ}[العلق:١-٢]، ولم يأمره الله بأن يبلِّغ أحدًا ثم أرسل بالمدثر أي: في المدثر أمره الله – عز وجل- بالبلاغ؛ وهذا معنى قول الشيخ.

فظاهر قول الشيخ: بأن الفرق بين النبي والرسول.

أن النبي هو: الذي أوحي إليه ولم يؤمر بتبليغ، لم يؤمر بالدعوة وإنما أتاه الوحي، والرسول هو الذي أُمِر بالبلاغ والدعوة وأصح ما قيل في هذا أن الرسول هو الذي معه رسالة خاصة من الله لقومٍ مخالفين بخلاف النبي. النبي قد يأتي ليس معه رسالة خاصة وإنما يأتي برسالة النبي الذي كان قبله كأكثر أنبياء بني إسرائيل. قال النبي – ﷺ-: «كانت بني إسرائيل تسوسهم الأنبياء»، كلما مات نبي خلفه آخر، هؤلاء لغلظ قلوبهم لا يصلح أن يقودهم إلا الأنبياء، أما هذه الأمة لكمالها لم تحتج إلا لنبي واحد فقط. ولذلك قال – ﷺ-: «العلماء ورثة الأنبياء» فمقام العلماء كمقام الأنبياء لا في الفضيلة لكن في الوظيفة، ولذلك العالم اليوم هل يأتي بشريعة جديدة؟ ما هي وظيفة العالم؟ يأتي يدعو إلى دعوة من؟ النبي – صلى الله عليه وسلم-، ما عنده رسالة جديدة وإنما يأمر الناس أن يلتزموا شريعة الله وينهاهم عما خالف أمر الله، ويدعوهم ويعلمهم؛ هكذا النبي، النبي ليس معه شريعة جديدة أو رسالة إلى قوما مخالفين سواء أن كانوا من أهل الشرك أو من غير أهل الشرك وإنما يدعو بدعوة الرسل الذين قبله، لكن الفرق بينه وبين عامة العلماء والأحبار هو أنه يوحى إليه.

وأما الرسول فهو الذي معه رسالة من الله أُمِر أن يبلغها خاصة، قد تكون رسالة مع شريعة وقد تكون من غير شريعة، وقد يكون رسالة لقومٍ مشركين أساسًا لم يأتهم رسول أو قد تكون لقومٍ مؤمنين لكن بُعِث برسالة، فإن داوود كان رسولًا لبني إسرائيل وقد كانت .... الأنبياء، وموسى كان رسولًا، وعيسى كان رسولًا لنفس الأمة لبني إسرائيل، وموسى وعيسى لم يبعثوا لقوم مشركين أساسًا وإنما بعثوا لبني إسرائيل وكانوا مؤمنين، وهكذا داوود لما بعث لقومه كانوا مؤمنين.

فالشاهد: أن الرسول هو الذي معه رسالة أُمِر بتبليغها خاصة، ولذلك الاشتقاق يدل عليه، لو أردت أن تذكر ما هي أركان الرسالة؟ إذا قلت: رسالة. لابد من أربعة أركان: لابد أن يكون هناك مرسِل، ولابد أن يكون هناك رسول، ولابد أن تكون هناك رسالة، ولابد أن يكون هناك مرسَل إليه.

قلت: هذه رسالة. إذًا فيه هناك مرسِل، أنا المرسِل أعطيت لفلان هو الرسول، أخذ الرسالة الركن ثالث، ذهب إلى مرسَل إليه وهو الرابع.

بخلاف النبأ، الإنباء هو الخبر، النبأ أركانه ثلاثة: منبئ الذي أنبأ وأخبر، ومنبَأ الذي نُبئ وأُخبر، والخبر فقط، ما في طرف رابع.

وعلى هذا فالنبي هو: الذي لم يؤمر برسالة خاصة.

وأما الرسول هو الذي أمر أن يبلغ الناس أمراً بعثه الله – عز وجل- به، ولذلك الرسول نُبِئ بـ{اقرأ} أي: أتاه الوحي فأصبح نبيًا لكن ليس رسولًا، لماذا؟ لأنه ما أعطاه الله الرسالة قال: اذهب بها إلى قومك وقل لهم كذا وكذا.

فلما قال الله في المدثر: {قم فأنذر} أي: أمره أن يقوم وينذر الشرك، وأن يدعو إلى التوحيد فهنا أصبح رسولًا.

وعلى هذا فكل رسول نبي؛ لأنهما يجتمعان في أنهما يوحى إليهما، لكن هل كل نبي رسول؟ لا، وقد جاء عن النبي – ﷺ- كما رواه الإمام أحمد أن الله – عز وجل- قد بعث مائة وأربعًا وعشرين ألفا نبي وثلاثمائة وسبعة عشر رسولًا أو كما قال – ﷺ-، فالأنبياء كثر، والرسل أقل.

(المتن)

بعثه الله بالنذارة عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.

والدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر: ١-٧].

ومعنى {قم فأنذر}: ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد.

{وربك فكبر} أي: عظمه بالتوحيد.

{وثيابك فطهر}: أي طهر أعمالك عن الشرك.

{والرجز فاهجر} الرجز بالأصنام وهجرها تركها، والبراءة منها ومن أهلها، أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد.

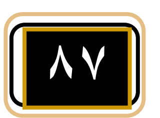
(الشرح)

النبي - ﷺ- أمره الله - عز وجل- وأمره بالدعوة إلى التوحيد والنذارة من الشرك، فهو جاء مبشرًا الموحدين بالجنة ومنذرًا المشركين بالنار، فجاء بالدعوة بالأمر بالمعروف وهو التوحيد، والنذارة عن المنكر وهو الشرك.

ولذلك أول ما أمره الله - عز وجل- به أن يقوم بالإنذار قال: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ * قُمْ فَأَنذِرْ} أي: حذر الناس الشرك.

{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} أي: عظمه بالتوحيد؛ لأن التوحيد تعظيم الله.

{وثيابك} والثياب تطلق على الأعمال، {وثيابك فطهر} أي: طهر أعمالك.



قال: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} أي: ما يتم التوحيد إلا بأن تترك أي: يترك أي عبادة من دون الله – عز وجل– ويتبرأ من عبادتها، ولا يكون الإنسان متلبسًا بها، بل لابد أن ينذر الشرك وأن يلتزم التوحيد وأن ينبذ ويتبرأ.

ولذلك الدين لا يقوم إلّا على البراءة من الشرك وأهل الشرك، والبراءة من كل معبود سوى الله، وتوحيد الله تبارك وتعالى {فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله} لابد من هذين، فمن لم يكفر بالطاغوت ولم يتبرأ من عبادة ما سوى الله ويعتقد بطلانها وينكرها بقلبه وقوله وفعله لم يكن مؤمنًا؛ فهذا الذي أمره الله – عز وجل– به نبيا فجاء بهذه الدعوة؛ الدعوة للتوحيد الخالص والإنذار عن الشرك.

بل أنذر عن الشرك وحاربه، أي: لم يكتف فقط بالنذارة، أيها الناس الشرك مآله إلى الخسران– لا – بل حاربه وجاهده وهذا معنى قوله: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} لأنه قال: أنذر الشرك. قد يقول قائل: أنذر الشرك إذًا أحذرهم فقط لكن ما أحاربهم، أنا أحذرهم لكن الله – عز وجل– قال: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}، والهجران المراد به: البراءة، والبراءة بمعنى: المجانبة، والبعد، والمجانبة والبعد تستلزم البعد عن هذا ويستلزم مجاهدته، وأن لا يخالطه الإنسان، ولذلك أمر النبي – ﷺ– بالهجرة، أن يجانب الإنسان أماكن أهل الشرك بل أُمِروا بعد ذلك بما هو أبلغ في البراءة، وهذا جاء بعد وهو الجهاد، ولذلك الجهاد في الحقيقة هو تحقيق البراءة والكفر بالطاغوت.

قال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}، ما هي الفتنة؟ الشرك.

ولذلك الجهاد لا ينقطع طالما أن الشرك موجود، فالجهاد هو في حقيقته تطبيق وتفعيل لهذا الركن العظيم وهو الكفر بالطاغوت.



(المتن)

وأخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد وبعد العشرة عرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاثة سنين وبعدها أُمِر بالهجرة إلى المدينة.

(الشرح)

الشاهد: أن النبي – ﷺ– مكث عشر سنين يدعو إلى التوحيد فقط؛ وهذا يدل على أن أساس الدين على التوحيد، ولذلك إذا لم يصح التوحيد ما صحت الأعمال، ما دعاهم إلى صلاة، أو زكاة، لأنه إن لم يصح اعتقادهم في الله تبارك وتعالى وتوحيده ما نفع ذلك، وهذا كله يدل على أن هذه المأمورات والفرائض والأركان ما سوى الشهادتين هي في الحقيقة من مكملات التوحيد ومن حقوق التوحيد.

ولذلك أساس الدعوة يقوم على ما دعا عليه – ﷺ–، أن يُدعى إلى تصحيح عقائد الناس وترسيخ الإيمان في قلوبهم والتحذير من الشرك حتى يستقر هذا في قلوبهم، فإذا استقر وتمكن بعد ذلك دُعِي إلى باقي أركان الإسلام؛ ولا يعني هذا أن الإنسان يقف عند التوحيد فقط لكن لو أتى إلى قوم مشركين لا يأمرهم بالصلاة، والصيام، والزكاة وهم قائمون على الشرك، لأنهم لو صلوا ما نفعهم.

وحال هذا كحال من يأتي إلى رجل هو مُصِرٌّ على ترك الطهارة ويقول لك:قوم صل. رجل يصر على ترك الطهارة هل تأمره بالصلاة ولا ما تأمره؟ ما تأمره لأنه لو صلى ما نفعته الصلاة، لأن تارك أو فاعل لناقض من نواقض الصلاة وهو ترك الوضوء.

كذلك من لم يأت بالتوحيد ما يأمر بالصلاة ولا صيام، أما من كان من أهل التوحيد لكن عندهم بدع عندهم شركيات فيدعى إلى التوحيد حتى يركز، ويُدعى معه إلى باقي

الإسلام لكن يُركز على التوحيد لأنه من صح توحيدهم صحت أعمالهم، فشطر بعثته كان يغرس العقيدة في قلوب المسلمين، لا قوام لهذه الأمة ولا يمكن أن تقوم الأمة كما قيل لسابق مجدها ولا تعود الخلافة الراشدة، لا يمكن أن تعود بغير هذه الطريقة، فمن ظن أن الأمة ستعود إلى مجدها بالسياسة، أو فضائل الأعمال دون التوحيد، أو بغيرها من الطرق المحدثة هذا من أعظم الجهلة. ولذلك ما قامت دول الإسلام العظمى إلا بالتوحيد، وشيخ الإسلام مُحَمَّد بن عبد الوهاب مثال حي واقع مثالي قريبٌ إلى التوحيد وقامت على إثر ذلك الدعوة الدولة.

(المتن)

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

(الشرح)

الإنسان مأمور بالهجرة، لأن الهجرة تحقيق للبراءة، ألم نؤمر بالبراءة من الشرك، وأهل الشرك، وأن نجانبهم، وأن نكفر بهم؟ أُمرنا بذلك، ومن ذلك أن يهجر الإنسان أماكنهم، ودولهم، لابد من الهجرة أن يهجر معاصي ويهجر أهل المعاصي ويهجر الشرك ويهجر أهل الشرك.

ولذلك الهجرة كانت أول ما فرض الله – عز وجل- بعد التوحيد بعد الهجرة، فهاجر المسلمين إلى الحبشة، وأصل الهجرة الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام تحقيقا للبراءة والكفر بالطاغوت، وهي فريضة من هذه الأمة لا تنقطع ما وجد الشرك، وقد تكون الهجرة ليس من الشرك، قد تكون من البدعة.

لو كان الإنسان في بلاد يُسَب فيه الصحابة ويطعن فيهم أو يطعن في بعضهم يجب أن يهاجر الإنسان إذا لم يستطع أن يظهر السنة وأن يتبرأ من هذا الفعل، إن لم يستطع ولم يقوَ على إظهار التوحيد في البلاد التي ظهر فيها الشرك أو إظهار السنة في البلاد التي تظهر فيها البدعة يجب عليه أن يهاجر، وهذا بإجماع العلماء، وهي باقية طالما وجدت البدع وجد الشرك باقية؛ هذا في حال الرجل الذي لا يستطيع أن يظهر دينه، **وإظهار الدين ليس أن تصلي وتصوم، إظهار الدين أن تظهر كفرك وبراءتك مما خالف به الشرع**.

فإذا أنت بين قومٍ يشركون بالله، ما هي البراءة؟ أن تصلي وتصوم؟ هم يصلون ويصومون معك، البراءة: أن تظهر أن عبادة الموتى مثلًا شرك، وأن دعاء الميت شرك، وأن هذا شرك وكفر وأنا متبرئ من هذا الفعل؛ هذه البراءة. ليست البراءة أن تصلي وتصوم، البراءة: أن تتبرأ وتظهر براءتك مما وقعوا فيه من الضلالة، أو رجل في بلد يتكلمون في الصحابة أو يظهرون الأشعرية في تأويل الصفات، يجب أن تظهر البراءة من هذا الفعل، وأن الصفات يجب أن تثبت لله – عز وجل– على الوجه اللائق به جل وعلا مع اعتقاد التنزيه، وأنه يجب أن نترضى عن كل الصحابة وألا نتكلم فيهم، فإن لم تقوَ على إظهار ذلك كأن منعوك أو ضربوك يجب أن تهاجر، فليس إظهار الدين –كما يظن بعض الناس– أن تصلي وتصوم – لا – أن تظهر خلاف ما خالفوا فيه الحق فتبرزه، فهي مشروعة إلى يوم القيامة.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا * إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا * فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا} [النساء:٩٧-٩٩].

وقوله تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} [العنكبوت:٥٦].

وقال البغوي – رحمه الله –: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا ناداهم الله باسم الإيمان.

(الشرح)

هذه الآية فيها وجوب الهجرة من البلاد التي لا يقوى الإنسان فيها على إظهار دينه كبلاد الشرك وغيرها، فالله – عز وجل– أنزل هذه الآية في قومٍ من مستضعفين في مكة ممن كانوا يخفون إيمانهم مع قدرتهم على الهجرة، لكنهم كرهوا أن يفارقوا بلدانهم ويفارقوا أموالهم ويفارقوا أهلهم، فبقوا يكتمون إيمانهم فأخرجهم المشركون في غزوة بدر، وخرجوا مكرَهين لكنهم هم الذين تسببوا في إخراج المشركين لأنهم بقوا مع قدرتهم على الهجرة، فقال – عز وجل–: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ} فجعل موتهم كان مع الظلم، {قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ} أي: ألم تكونوا قادرين على الهجرة؟ كنتم في بلاد الشرك {قالوا كنا مستضعفين

في الأرض} كانوا مستضعفين نعم لكنهم هل كانوا عاجزين عن الهجرة؟ لا، إذًا تركوا ما أوجبوا الله عليهم من هجرة فتسبب ذلك في خروجهم ووقوفهم في صف المشركين. {قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} [النساء:٩٧] هذا يدل على أنها كبيرة، ولذلك نقل ابن كثير إجماع العلماء على وجوب الهجرة من كل بلد لا يقوى المسلم فيها على إظهار دينه، ولم يستثن الله – عز وجل– من هؤلاء المستضعفين في مكة إلا العاجزين قال: {إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}، أي: إما أنهم عاجزين لهم لا يستطيعون الفكاك من أسر المشركين، أو رجل يستطيع الفكاك لكنه لا يعرف الطريق، قد يضل في الطريق ويتوه ويموت؛ فهذا عاجز، استثناهم الله – عز وجل–، وهذا يدل على وجوب الهجرة من كل بلد لا يقوى الإنسان فيها على إظهار الإسلام والتوحيد.

(المتن)

ودليل الهجرة من السنة قوله – ﷺ–: «لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها».

(الشرح)

طالما لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، والتوبة متى تنقطع؟ إذا طلعت الشمس من مغربها، فالهجرة باقية إلى علامات الساعة الكبرى التي لا ينفع إيمان بعدها.

والشيخ – رحمه الله – يبين هذا، وقد احتاج إلى مثل هذا؛ لأن كثيرا ممن كانوا في وقت الشيخ وقد دعاهم يراسلونهم سرًا، ويقولون: نحن مصدقون بدعوتك، ونعلم أن ما تدعو إليه

هو الحق، وأن ما عليه أقوامنا هو الشرك بالله - عز وجل- لكنهم كرهوا أن يفارقوا أهلهم وأوطانهم، فبقوا مستترين بإيمانهم، وكانوا يخرجون في قتال الشيخ وأهل الدعوة مع أقوامهم مع أنهم في الباطن يخالفونهم، فهم تركوا ما أوجب الله - عز وجل- عليهم، ولذلك كانوا مرتدين بهذا، **من نصر الشرك على الإسلام ووقف في صف المشركين ضد أهل التوحيد والإسلام فلا ريب أنهم مرتدون، ومن أجل ذلك ذكره شيخ الإسلام - رحمه الله - من نواقض الإسلام الناقض الثامن** لأنه كان كثير الوقوع في عهده، أناس يناصرون أهل الشرك مع أنهم ما يعتقدون الشرك ولا يكرهون التوحيد لكنهم ناصروهم لأجل أنهم من أقوامهم وأنهم كذا وأنهم كذا. إذًا ناصروا أهل الشرك لا عن اعتقاد وإنما عن محبة الأهل والأولاد، فحكم أهل العلم بل أجمعوا أهل العلم على كفرهم وشركهم.

(المتن)

فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام مثل الزكاة، والصوم، والحج، والجهاد، والآذان، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

(الشرح)

الصلاة فرضت في آخر سنتين قبل الهجرة.

الشيخ يقول: صلى ثلاث سنين.

وبعض العلماء يقول: فرضت الصلاة في السنة الحادية عشرة أي صلى سنتين، وأما باقي فرائض الإسلام فالزكاة فرضت في السنة الثانية، وكذلك الصوم، والحج في السنة التاسعة؛ وهذا كله يدل على أن الأساس والذي يجب أن يكون البناء عليه هو التوحيد.

والنبي – ﷺ– دعا للتوحيد من أول بعثته إلى آخر حياته وهو يدعو إلى التوحيد وترسيخ العقيدة.

(المتن)

وغير ذلك من شرائع الإسلام أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي – ﷺ– ودينه باق.

(الشرح)

النبي – ﷺ– مكث في مكة ثلاثة عشر سنة، منها عشر سنين أو إحدى عشر سنة يدعو إلى التوحيد فقط، ثم فرضت الصلاة قبل الهجرة بسنتين أو ثلاث ثم مكث في المدينة عشر سنين.

(المتن)

وهذا دينه لا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا حذرها منه، والخير الذي دل عليه التوحيد وجميع ما يحبه الله ويرضاه، والشر الذي حذرها منه الشرك وجميع ما يكره الله و يأباه، بعثه الله للناس كافة، وافترض الله طاعته على جميع الثقلين الجن والإنس.

(الشرح)

النبي – ﷺ– دعوته عامة؛ وهذا مما اختصت به دعوته أنه بعث للناس كافة، وأعظم ما دعا إليه هو التوحيد، وأعظم ما حذر منه هو الشرك. ولذلك جمع الله – عز وجل– شرائع الأنبياء السابقين بالتوحيد وجمع الله – عز وجل– منهيات الأنبياء السابقين الشرك، ما ذكر الله – عز وجل– عن الأنبياء السابقين إلا الدعوة للتوحيد والتحذير من الشرك؛ فدل على أن كل أمر الدين يعود إلى تحقيق توحيد الله ومجانبة الشرك وأهل الشرك.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا} [الأعراف:١٥٨]

وأكمل الله به الدين.

(الشرح)

الدليل على أنه مبعوث للإنس والجن وللناس كافة {قل يا أيها الناس} والناس خطاب يشمل كل الناس: العرب، والعجم، والأبيض، والأسود. {إني رسول الله إليكم جميعًا} وهذا نص. وقال: «أرسلت للناس كافة». قال: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا} [سبأ:٢٨]، فدعوته عامة، ولذلك من لا يؤمن به بعد بعثته فهو مشرك كافر. قال النبي –ﷺ–: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهوديًا ولا نصرانيًا من هذه الأمة إلا دخل النار» وهذا مما يعلم من الإسلام بالضرورة.

(المتن)

وأكمل الله به الدين، والدليل قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا} [المائدة:٣].

(الشرح)

فإكمال الدين يقتضي بطلان البدع وأنه لا مجال لأن يشرع الإنسان شيئا، {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ} [الشورى:٢١]، فالدين الذي يدان الله به ويتعبد به لا يكون إلا وفق ما شرع، والدين قد كمل؛ وإذا كان الدين قد كمل فمعنى ذلك: أنه لا زيادة عليه؛ وهذا يدل على بطلان جميع البدع، وأنها ضلالة.

(المتن)

والدليل على موته – ﷺ– قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ * ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ}[الزمر:٣١-٣١]، والناس إذا ما ماتوا يبعثون.

(الشرح)

الدليل على موته {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ} [الزمر:٣٠]. وقال – عز وجل-: {أَفَإِينْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ}[آل عمران:١٤٤]. وقال أبو بكر τ لما فزع الناس لموته: **(أما محمدًا فقد لقي ربه)**، وقال له: **(لا يجمع الله عليك موتتين)**. فالشاهد: أن النبي – ﷺ– قد مات وانتقل إلى عالم البرزخ، ولذلك لا يملك بعد موته للناس نفعًا ولا ضرًا، ولا يملكه في حياته – ﷺ– فكيف يملك ذلك بعد موته! {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ}.وأما حياة الأنبياء فحياة برزخية، الحياة بهذا المعنى حتى كل من مات فهو حي، لكن الحياة التي نسبت للأنبياء هي الحياة التي فيها النعيم والسرور والحبور، وهذا معنى قوله: الأنبياء أحياء في قبورهم.

وإلا فإن الميت يعذب وهو يشعر بالعذاب، والمؤمن ينعم وهو يشعر بالنعيم ويسر، ويأتيه من روح الجنة وريحانها، وهذا حياة لكن ليست كحياة الدنيا وإنما هي حياة برزخية، والعبد ينتقل من حياة إلى حياة وهو في بطن أمه حي حياة تختلف عن حياته، ولكن إذا أخرج وأدخل مرة أخرى مات وهو قبل ثواني كان في بطن أمه، فالإنسان ينتقل من حال إلى حال.

(المتن)

والناس إذا ماتوا يبعثون والدليل قوله تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى} [طه:٥٥]. وقوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الأَرْضِ نَبَاتًا * ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} [نوح:١٧-١٨].

(الشرح)

{منها خلقناكم} أي: خلق الله الناس من التراب أصل آدم، {وفيها نعيدكم} أي يعيدهم الله في هذه الدنيا {ومنها نخرجكم تارة أخرى} فدل على أن الناس سيبعثون من قبورهم ويقفون بين يدي الله تبارك وتعالى، وينبتهم الله – عز وجل– حتى يحاسبهم.

(المتن)

وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم. والدليل قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} [النجم:٣١].ومن كذب البعث فقد كفر.

(الشرح)

وهذا هو الإيمان باليوم الآخر، أقل قدر مجزئ من الإيمان باليوم الآخر أن يؤمن الإنسان بأنه سيبعث، وأنه سيحاسب وأن مآله إما إلى جنة وإما إلى نار، هذا القدر مجزئ، ولا يشترط أن يعلم تفاصيل ذلك لكن الإيمان باليوم الأخر أن يؤمن الإنسان بأنه إذا مات سيبعث، وإذا بعث سيحاسب، وإذا حُوسب إما أن يكون مآله إلى جنة وإما إلى نار، وأما تفاصيل بعد ذلك فهذه إن علمها فهو خير وإن لم يعلمها فلا يضره الجهل بها. ولذلك قال الشيخ:

(ومن كذب البعث فقد كفر).

(المتن)

ومن كذب بالبعث كفر. والدليل قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن:٧].

(الشرح)

والله – عز وجل– قد ذكر البعث وأقسم عليه في أربعة مواضع من كتابه، في أربع مواضع يقسم الله على البعث **(بلى وربي لتبعثن)** أَقسَم، وكذلك في مواضع من كتاب الله تبارك وتعالى، فأقسم الله – عز وجل– على البعث فمن كذب به فقد كذب خبر الله وكفر بالقرآن.والبعث أيضًا فطري، البعث والمحاسبة فطري، فطر الله العباد. ولذلك الفطرة تدل على البعث، والعقل يدل على البعث، والحس يدل على البعث. ولذلك دلائل البعث غير الكتاب والسنة الفطرة، والعقل، والحس، العباد مفطورون على أنه لابد من أن يحاسب الظالم، مفطورون، الطفل يضرب وهو صغير وهو لا يفقه لا يهدأ باله حتى يضرب ضاربه، من أين علم هذا؟ فطرة طالما أنه قد ظلم لابد أن يقتص من الظالم، فطرة فطر الله الناس عليها. ولذلك الأم تسكت الابن تضرب الخشبة حتى تسكته؛ لأنه مفطور على أن الظالم لابد أن يقتص منه، فهذه فطر فوق دلائل الكتاب والسنة.

(المتن)

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين. والدليل قوله تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا} [النساء:١٦٥].

(الشرح)

{رسلًا مبشرين} يبشرون أهل التوحيد، ومن أطاعهم بالجنة. {ومنذرين} أي: ينذرون أهل العصيان والشرك بالكفر، وقد قطع الله – عز وجل– العذر على الناس ببعثة الرسل؛ وإلا فإن دلائل العقل والفطرة تدل على التوحيد.قال – ﷺ–: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو يمجسانه أو ينصرانه»، فدل على أن التنصير والمجوسية هذا أمر طارئ أي: لو خُلي وفطرته لاهتدى إلى التوحيد. وقال في حديث آخر: «قال الله جل وعلا: خلقت عبادي حنفاء فاجتالتهم الشياطين»، حنفاء على التوحيد، لكن يطرأ التغيير بعد، لكن الله – عز وجل– من رحمته لم يجعل الثواب والعقاب على الفطرة والعقل مع أنه كافي في الدلالة لكن الله رحيم بعباده فقال: لا أعذبكم حتى يبعث لكم رسول. ولذلك قال النبي – ﷺ– في الصحيح: «لا أحد أحب إليه العذر من الله ولذلك أرسل الرسل»، فإذا تمت الحجة الرسالية مع الحجة العقلية والفطرية فقد انقطع في حق الإنسان العذر قال: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ]، حتى لا يحتج أحد: ما آتاني من رسول.

(المتن)

وأولهم نوح عليه السلام وأخرهم محمد - ﷺ-.

(الشرح)

أول الرسل نوح، لكن أول الأنبياء من آدم. ولذلك على قولنا بأن النبي لم يأمر أن يبلغ قوما بشيء معين، فآدم نبي، لكن أول الذين بعثوا إلى قومهم برسالة من الله من هو؟ نوح عليه السلام فهو أول الرسل وآخرهم محمد - ﷺ-.

(المتن)

والدليل على أن أولهم نوحٌ عليه السلام قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} [النساء:١٦٣].

(الشرح)

{أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ}، فدل على أنه أول الرسل. وفي الحديث حديث الشفاعة يوم القيامة لما يأتون إلى نوح قالوا: «إنك أول الرسل بعثه الله» فذكروا فضله ومنزلته في كونه أول الرسل.

(المتن)

وكل أمة بعث الله إليها رسولًا من نوح إلى محمدٍ يأمرهم بعبادة الله وحده وينهاهم عن عبادة الطاغوت. والدليل قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل:٣٦].

(الشرح)

أي: ما من أمة إلا وبعث إليها رسول، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا}. بماذا بعثهم؟ {أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}. {وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنْذَرَ قَوْمَهُ بِالأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ} [الأحقاف:٢١]، أي سبقه الأنبياء {ألا تعبدوا إلا الله} أي: كلهم بعثوا بالدعوة لتوحيد الله والكفر بالطاغوت، {ألا تعبدوا إلا الله} أي: لا إله إلا الله؛ لأن "**لا إله**" نفي العبودية عما سوى الله {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء:٢٥]، فكل الأنبياء بعثوا بالدعوة إلى توحيد الله والتحذير من الشرك، بدءًا من نوح عليه السلام وإلى نبينا مُحَمَّد -ﷺ-. فاتباع الرسل حقيقة هم المكتفون لدعوته {وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا} [فصلت:٣٣]، من هو الداعية؟ الداعية الذي يأتي إلى قوم مشركين، ويذكرهم بفضائل الأعمال ويترك تحذيرهم من الشرك؟ هذا داعية؟ اليوم كثير من الدعاة في التلفاز لا يستحقون اسم ربع داعية، ولا يستحقون أن يسمى داعية؛ لأنهم لا يركزون على الدعوة على التوحيد، وبعضهم تجده يظهر على الفضائيات وفي بلاد ينتشر فيها الشرك ومع ذلك لا تجده يعرّج على تحذير الناس من الشرك وبيان التوحيد والتركيز على العقيدة لكن يركز على فضائل الأعمال وعلى القصص؛ هذا ليس داعية، يقول: عندنا الداعية فلان. الداعية هو:

الداعي للتوحيد، الداعية يدعو إلى توحيد الله وتوحيد الله – عز وجل– تعظيم الله. ولذلك إذا وحد الناس ربهم عظموه وإذا عظموا الله – عز وجل– تركوا ما حرم الله، لكن جهل الناس بالتوحيد يظن أن التوحيد أمرًا جامد كما يقوله الجاهل أن نصوص التوحيد نصوص جافة. جافة لغلظ قلبه والعياذ بالله وإلا نصوص التوحيد تعظيم الله، فأنت تذكر الناس بحق الله وعظمة الله، وكبرياء الله – عز وجل–، وما له من الصفات، والأسماء، والأفعال العظيمة التي يعظم الله – عز وجل– في قلبك.

ولذلك وظيفة الأنبياء والرسل هو تعظيم الله – عز وجل– في قلوب عباده، فإذا عظم الله – عز وجل– ما التفتوا إلى معبود أو مخلوق أو ميت أو ولي، بل لا يلتفتون إلا إلى الله، هذا هو حقيقة التوحيد. ولما ألقي إبراهيم عليه السلام في النار، والنار كما جاءت في بعض الآثار أنه قد أوقدوا عليها شهورًا أو شهرا وهم يوقدون، وكان الطائر يمر من فوقها بمسافات يخر يحترق من قوة هذا اللهب، وألقي فيها إبراهيم و يأتيه جبريل أعظم ملائكة الله جلا وعلا ويقول: هل لك إلي من حاجة؟ قال: «أما إليك فلا» وهو في تلك الحال؛ لأنه لم يلتفت إلى مخلوق، وعلم بأن الأمر كله لله هذا هو حقيقة التوحيد.ولذلك أهل التوحيد يعظمون الله ويحبون الله، ويجلون الله، ومن أجل الله – عز وجل– وعظمه ووحده لن يقع في معصية، وهنا تأتي بعد ذلك مرتبة الإيمان والإحسان، وإلا إيش دعوة يقول: هيا تعالوا قصص وسوالف، والناس على الشرك، والبدع وقبور وأضرحة، ومقامات هذا ليسوا دعاة، الداعية هو الداعي للتوحيد، هذه دعوة الرسل عليهم الصلاة والسلام.

(المتن)

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال بن القيم – رحمه الله –: "**الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوعٍ أو مطاع، والطواغيت كثيرة**".

(الشرح)

يقول: (**افترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت**).

الكفر هو: البراءة، التبرؤ والبعد والمجانبة كما قال الشيطان: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ} أي بمنقذكم، {وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ} [إبراهيم:٢٢]، ما معنى {كفرت}؟ أي: إني تبرأ بشرككم بي، فالكفر بالطاغوت هو البراءة والمجانبة، واعتقاد البطلان والتحذير، وكذلك جاءت في شريعتنا المجاهدة أيضًا؛ لأن الجهاد لم يشرع في كل أمة وإنما شرع في هذه الأمة، فهذا كله من كفر الطاغوت فنحن مأمورون بالكفر بالطاغوت، وتوحيد الله، لكن ما هو الطاغوت؟

(المتن)

(والطواغيت كثيرة ورءوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، وهو من عبد وهو راضٍ، ومن دعا الناس لعبادة نفسه، ومن ادعى شيئًا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

(الشرح)

الطاغوت يقول ابن القيم: "**الطاغوت اسم لكل ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع**" أي: إذا أتيت إلى مخلوق وتجاوزت حده الذي حده الله صار هذا المخلوق طاغوتًا، لكنه لا يسمى طاغوت إلا إذا كان راضيًا قال من معبود، فكل المعبودات فهي طواغيت عند من اتخذها؛ هذا لا يسمى طاغوت إلا إذا كان راضيًا. ولذلك من شرط أن الشيء يسمى طاغوت: أن يكون راضيًا، وعلى هذا فعبادة عليٍّ وهو غير راض، وعبادة الأنبياء وهم غير راضين هل يسمون طواغيت؟ لا، إنما الطاغوت الذي أَمر بعبادته. أما النمرود وفرعون وهؤلاء العتاة الذين أمروا الناس بعبادتهم فهم طواغيت. فالشاهد: إذا تجاوز العبد من معبود كأن عبد غير الله، أو من متبوع أو مطاع.

المتبوع هو: الإمام القدوة الذي يتخذه الناس إماما.

والمطاع: الذي قد يطاع إما في بيته، وإما في حدود، قد يطيعه الناس لمكانته.

لكن المتبوع هو صاحب الإمام القائد، فلو أتى الإنسان إلى متبوع تتبعه الناس وتجاوز حده بحيث إذا أمر بمعصية الله فعل، وإذا نهاه عن طاعة الله ترك، هذا حده أن يطاع في طاعة الله وألا يوافق في معصية الله تبارك وتعالى. فإذا تجاوز حده وأصبح يطيعه في معصية الله فإنه أصبح طاغوتًا بالنسبة له، وكذلك لو كان مطاعًا أمر بمعصية فعصوا نهى الناس عن طاعة فأطاعوه، فلا شك أنه هؤلاء طواغيت، لكن لا يسمى من المكلفين من الإنس والجن

طاغوتا إلا إذا كان راضيًا، ولهذا فلا يسمى عيسى عليه السلام طاغوت، ولا تسمى أمه، إنما الطاغوت هو الذي أمر بعبادته. ثم قال الشيخ: (**رءوسهم خمسة: إبليس لعنه الله هو رأس الطواغيت**). {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس:٦٠]. قال العلماء: كل عبادة لغير الله هي عبادة للشيطان. لماذا؟ لأنه هو الذي أمر بها. قال: (**ومن عُبِد وهو راض فهو طاغوت**) كفرعون والنمرود وغيره، لكن الذي لم يرض هل يسمى طاغوتًا؟ لا.

قال: (**ومن دعا الناس لعبادة نفسه**) أيضًا يعني: هو الذي دعا. والفرق بينه وبين الذي قبله عبدوه وهو راض، والآخر دعا الناس فلاشك أنه من أكبر الطواغيت كفرعون.

(**ومن ادعى شيئًا من علم الغيب**) فالله – عز وجل- سميا الكهان طواغيت، وكان العرب يسمونهم طواغيت، فكل من ادعى الغيب فهو طاغوت، تجاوز الحد لأن علم الغيب لا يعلمه إلا الله.

(**ومن حكم بغير ما أنزل الله فهو طاغوت**) كما قال تبارك وتعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ} [النساء:٦٠]، فكل حكم مخالف لحكم الله فهو طاغوت، ومن أمر الناس أن يطيعوه في هذا فهو طاغوت.

لكن هل يستلزم وصف الطاغوت بأن يكون كافرا؟ لا يستلزم، فلو أتى مدير إدارة وقال للموظفين: اشربوا الخمر. وشربوا الخمر هو طاغوت، لكنه لا يكفر بهذا؛ لأنه لا يستلزم وصف الشيء بالطاغوت أن يكون كافرًا، وإنما الطغيان هو مأخوذ من مجاوزة الحد، فإذا تجاوز حده وأمر بخلاف ما أمر الله فهو طاغوت.

(المتن)

والدليل قوله تعالى: {لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى}[البقرة:٢٥٦].

(الشرح)

{فمن يكفر بالطاغوت} أي: يتبرأ منه ويعتقد بطلانه، ولذلك لابد من البراءة من أنواع الشرك، فلابد أن يعتقد الإنسان أن دعاء الموتى شرك، وأن الاستغاثة بهم شرك، وأن هذه المعبودات التي تعبد لا تستحق أن تعبد، وأن من دعا ميتًا أو غائبًا أو استغاث به أو اعتقد أن هناك من ينظم حركات الكون أو إن العالم له غوث أو أقطاب أو ما شابه ذلك؛ فهؤلاء لابد أن يتبرأ منه وأن يعتقد شركهم، وأن يعتقد أنهم مشركون وأنهم كفار.

(المتن)

وهذا معنى لا إله إلا الله.

(الشرح)

"**لا إله**" كفر بالطاغوت، "**إلا الله**" توحيد بالله جلا وعلا وإيمان به، فلا يتم الإيمان إلا بتوفر الشرطين أو الركنين: الكفر بالطاغوت والبراءة والمجانبة واعتقاد البطلان، ولابد من القول، ولابد من الإظهار، طالما الإنسان قادر يجب أن يظهر {قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ}[الممتحنة:٤]، {قالوا}، وسمى النبي – صلى الله عليه وسلم– سورة الكافرون قال: «اقرأ قل يا أيها الكافرون حتى تختمها فإنها براءة من الشرك» لأن فيها {قل يا أيها الكافرون} سماهم بالكفر ووصفهم به.



(المتن)

وفي الحديث «رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله».

(الشرح)

«رأس الأمر الإسلام» رأس الأمر كله هو الإسلام، وعموده الذي يقوم عليه هو الصلاة، فلذلك من ترك الصلاة فقد كفر كما جاء عن النبي - ﷺ-.

«وذروة سنامه» أي: أعلى ما فيه مما يتقرب به إلى الله فهو الجهاد في سبيل الله.

تم الشرح بحمد الله، والله أعلم وصلى الله على مُحَمَّد وآله وصحبه وسلم.

* * * * *